العقد الفريد

٤

وفود العرب



مكتبة صادر
بيروت


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 014465015

٤

وفود العرب

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب
فيه أدب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

●

وفود العرب

هو كتاب الجمانة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

Ibn ʿAbd Rabbih

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٤

وفود العرب

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٥٨ — ١٩٥١



كتاب الجمانة في الوفود

قال الفقيه أبو عُمر أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه :

قد مضى قولنا في الأجواد والأصفاد على مَراتبهم ومنازلهم، وما جرَوْا عليه وما نَدبوا اليه، من الأخلاق الجميلة، والأفعال الجزيلة، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الوفود الذين وَفدوا على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى الخلفاء والملوك ، فإنها مَقامات فَضْل، ومَشاهد حَفْل، يُتخيّر لها الكلام، وتُستهذب الألفاظ ، وتُستجزل المعاني .

ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدَهم وزعيمَهم الذي عن قوّته يَنْزِعون ، وعن رأيه يُصْدِرون؛ فهو واحد يَعْدِل قبيلة ، ولسان يُعرِب عن ألسنة .

وما ظنُّك بوافد قوم يتكلّم بين يدي النبيّ، صلى الله عليه وسلم، أو خَليفته، أو بين يدي مَلِك جبّار في رَغبة أو رَهبة، فهو يُوطّد لقومه مرّة ، ويتحفّظ من أمامه أخرى ؛ أتراه مُدّخراً نتيجةً من نتائج الحِكْمة ، أو مُستبقياً غريبةً من غرائب الفِطنة ، أم تظنّ القوم قدّموه لفضل هذه الخُطّة إلا

وهو عندهم في غاية الحَذْلقة واللَّسن[1]، ومَجْمع الشعر والخطابة؟

ألا ترى أنّ قيسَ بن عاصم المِنْقريّ لمّا وَفد على النبيّ، صلى الله عليه وسلم، بَسط له رداءَه وقال: هذا سيّد الوَبَر؟ ولما تُوفي قيس بن عاصم قال فيه الشاعر[2]:

عليكَ سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ،
ورحمتُه ما شاء أن يترحّما

تحيّةَ من ألبستَه منك نعمةً،
إذا زار عن شَحْطٍ بلادَكَ سلّما

وما كان قيسٌ هُلكُه هُلْكَ واحد،
ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّما

•

---

١ الحذلقة: التظرف والتكيس في الكلام. اللسن: الفصاحة.

٢ هو عبدة بن الطبيب.

وفود العرب على كسرى

ابن القَطاميّ عن الكلبي قال :

قدِمَ النعمان بن المنذر[1] على كسرى[2] وعنده وفود الروم والهند والصّين، فذكروا من ملوكهم وبلادهم، فافتخر النعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الأمم، لا يستثني فارسَ ولا غيرها.

فقال كسرى ، وأخذته عِزّة المُلك : يا نُعمانُ ، لقد فكّرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرتُ في حال من يَقْدَم عليّ من وفود الأمم ، فوجدتُ الرومَ لها حظّ في اجتماع أُلفتها[3] ، وعِظم سُلطانها ، وكثرةِ مَدائنها ، ووَثيقِ بُنيانها ، وأنّ لها ديناً يُبيّن حلالها وحَرامها ، ويرُدّ سَفيهها ، ويُقيم جاهلها .

ورأيت الهند نحواً من ذلك في حِكمتها وطِبّها، مع كثرة أنهار بلادها وثمارِها ، وعجيبِ صِناعاتها ، وطيّبِ أشجارها ،

---

١ النعمان بن المنذر : هو أبو قابوس .

٢ كسرى : هو كسرى الثاني ابرويز بن هرمز بن انوشروان .

٣ يريد نظامها وسياستها .

ودقيق حسابها ، وكثرة عددها .

وكذلك الصين في اجتماعها، وكثرة صناعات أيديها في آلة الحرب وصناعة الحديد، وفروسيتها وهمتها ، وأنّ لها مُلكاً يجمعها.

والتُّرك والخزَر[1] على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلّة الرّيف والثمار والحُصون ، وما هو رأسُ عِمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تَضُمّ قواصيَهم ، وتُدبّر أمرَهم.

ولم أرَ للعرب شيئاً من خِصال الخير في أمر دين ولا دُنيا ، ولا حَزمٍ ولا قوّةٍ ؛ مع أن مما يدلُّ على مَهانتِها وذُلّها وصِغَر هِمتها ، محلّتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة ، والطّير الحائرة ؛ يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضُهم بعضاً من الحاجة ؛ قد خرجوا من مَطاعمِ الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذّاتها ، فأفضل طعام ظَفِر به ناعمُهم لحومُ الإبل التي يَعافها كثيرٌ من السباع ، لثِقَلها وسوء طَعمِها وخوفِ دائها ؛ وإنْ قَرى أحدُهم ضيفاً عدّها مَكرُمة ، وإن أطعمَ أكلةً عدّها غنيمة ؛ تنطق بذلك أشعارُهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ؛ ما خلا هذه التنوخية[2]

---

[1] الخزر : فرع من شعوب سكيثيا في شرقي اوروبا ونزلوا ضفتي نهر الأثل اي الفولكا ، حتى ظهر الروس فطردوهم ، وبهم سمي بحر قزوين بحر الخزر.

[2] التنوخية : أراد بهم سكان اليمن وهم من تنوخ ، استثناهم لان جده كسرى انوشروان أمد سيف بن ذي يزن فاسترجع ملك آبائه من الحبشة، فصار ملوك اليمن كعمال لملوك فارس وتأدبوا بآدابهم .

التي أسّس جدّي اجتماعها، وشدّ مملكتها، ومنعها من عدوّها، فجرى لها ذلك الى يومنا هذا، وإنّ لها مع ذلك آثاراً ولبوساً، وقُرى وحُصوناً، وأموراً تُشبه بعضَ أمور الناس، يعني اليمن.

ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذِلّة والقِلّة، والفاقة والبؤس، حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مَراتب الناس.

قال النعمان: أصلح اللهُ الملكَ، حقٌ لأمةٍ المَلِكُ منها أن يَسموَ فضلُها، ويَعظُمَ خَطْبُها، وتَعلو درجتها؛ إلا أنّ عندي جواباً في كل ما نَطق به الملك، في غير ردّ عليه ولا تكذيبٍ له، فإن أمّنني من غَضبه نطقتُ به.

قال كسرى: قُلْ، فأنت آمن.

قال النعمان: أما أمتك أيها الملكُ فليست تُنازَع في الفَضل، لموضِعها الذي هي به من عُقولها وأحلامها، وبسطة محلّها، وبحبوحة عزّها، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك. وأما الأمم التي ذكرتَ، فأي أمّة تَقرِنُها بالعرب إلا فضلتَها؟

قال كسرى: بماذا؟

قال النعمان: بعزّها ومَنَعَتِها وحُسن وُجوهها وبأسها وسخائها وحِكْمة ألسنتِها وشدةِ عقولها وأنفتها ووفائها.

فأما عزُّها ومَنَعتها، فإنها لم تزَل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ، ووطّدوا المُلك، وقادوا الجند، لم يَطمع فيهم طامع، ولم يَنلْهم نائل ، حصونُهم ظهورُ خَيلِهم، ومِهادهم الأرضُ، وسُقوفُهم السماءُ ، وجُنّتُهم السيوفُ ، وعُدّتهم الصبر ؛ إذ غيرها من الأممِ، إنما عِزُّها الحجارةُ والطينُ وجزائرُ البحور .

وأما حُسن وجوهها وألوانها، فقد يُعرف فضلُهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفةِ[1] ، والصّينِ المُنْحَفَةِ[2] ، والتُّرك المُشوّهة ، والروم المقشّرة[3] .

وأما أنسابُها وأحسابُها ، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءَها وأصولَها و كثيراً من أوّلها، حتى إنّ أحدَهم ليُسأل عمّن وراء أبيه دُنياً[4] ، فلا يَنسبُه ولا يَعرفُه ، وليس أحدٌ من العرب إلا يُسمّي آباءه أباً فأباً ، حاطوا بذلك أحسابهم ، وحَفِظوا به أنسابهم ، فلا يدخُل رجل في غيرِ قومه ، ولا يَنتسبُ إلى غير نَسبه ، ولا يدّعي إلى غير أبيه .

وأما سَخاؤها، فإنّ أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البَكْرة

---

١ المنحرفة : لعله اراد المنحرفة الامزجة الكثيرة الامراض .

٢ المنحفة : المهزولة ، قال ذلك لصفرة لون أهل الصين .

٣ المقشرة : اي كأن جلدها نزع عن وجهها ، دلالة على ابيضاضها .

٤ دنياً: لحاً لاصق النسب .

والنابُ[1] ، عليها بلاغَهُ[2] في حُموله وشِبَعه وريِّه ، فيَطرُقه الطارق الذي يَكتفي بالفِلذة ويجتزىء بالشُّربة ، فيعقِرُها له ، ويرضى أن يَخرج عن دنياه كلِّها فيما يُكسِبُه حُسنَ الأُحدوثة وطيبَ الذِّكر .

وأما حِكمةُ ألسنتهم ، فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورَونقِ كلامهم وحُسنِه ووَزنِه وقوافيه ، مع مَعرفتِهم بالأشياءِ ، وضَربِهم للأمثال ، وإبلاغهم في الصفاتِ ، ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس. ثم خَيلُهم أفضلُ الخيل، ونِساؤهم أعفُّ النساء ، ولِباسهم أفضل اللِّباس ، ومعادنهم الذهبُ والفضة ، وحجارةُ جَبلِهم الجَزْع[3]، ومطاياهم التي لا يَبلغ على مثلها سَفْرٌ[4] ، ولا يُقطع بمثلها بَلد قَفْر .

وأما دينها وشريعتها ، فإنهم متمسكون به ، حتى يبلغَ أحدُهم من نُسكه بدينه أنّ لهم أشهراً حُرُماً[5]، وبلداً مُحرَّماً،

---

١ الناب : الناقة المسنة .

٢ البلاغ : الكفاية.

٣ الجزع : خرز يماني فيه سواد وبياض .

٤ السفر : المسافرون .

٥ الاشهر الحرم اربعة : ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ، ورجب . وسميت للحرم لان العرب كانت لا تستحل فيها القتال الا طيء وخثعم .

وبيتاً محجوجاً ، يَنسُكون فيه مناسكهم[1] ، ويَذْبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجلُ قاتلَ أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رَغبته منه ، فيَحجُزه كرمُه ، ويمنعُه دينُه عن تناوله بأذى.

وأما وفاؤها، فإن أحدهم يلحظ اللَّحظة ويومىء الايماءة فهي وَلْثٌ[2] وعُقدة لا يحلّها إلا خُروجُ نَفسِه . وإنّ أحدَهم ليرفع عُوداً من الأرض فيكون رَهْناً بدَيْنه ، فلا يَغلَقُ رَهْنُه[3] ، ولا تُخفَر ذِمّته ؛ وإنّ أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به ، وعسى أن يكون نائياً عن دارِه ، فيُصابُ ، فلا يَرْضى حتى يُفني تلك القبيلة التي أصابته، أو تَفنى قبيلتُه ، لما أُخفِرَ من جواره ؛ وإنه ليَلجأ اليهم المجرمُ المُحْدِثُ[4] من غيرِ معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله.

وأما قولك أيها الملك : يَئِدون أولادهم[5] ؛ فإنما يفعله مَن

---

١ المناسك : هي فروض الحج وتعبداته .

٢ الولث : العهد .

٣ غلق الرهن : استحقه المرتهن، وذلك اذا لم يفتك في الوقت المشروط. والمراد هنا انه يجعل العود بمنزلة رهن فلا بد ان يفتكه ولا يرضى بانتكاث عهده .

٤ المحدث : المرتكب جناية .

٥ يئدون اولادهم : يدفنونهم احياء . كان بعض العرب في الجاهلية يفعلون ذلك ببناتهم في سني الجدب او اذا خافوا العار والهوان لهن .

يفعله منهم بالإناث أنفةٌ من العار وغَيْرةٌ من الأزواج .

وأما قولك: إن أفضلَ طعامهم لحومُ الابل على ما وصفتَ منها ؛ فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً له ، فعَمَدوا الى أجلّها وأفضلِها ، فكانت مراكبَهم وطعامهم ؛ مع أنها أكثر البهائم شُحوماً ، وأطيبُها لحوماً ، وأرقّها ألباناً ، وأقلّها غائلةً ، وأحلاها مَضْغةً ؛ وإنه لا شيء من اللُّحمانِ يُعالَج ما يعالَج به لحمُها إلا استبان فضلُها عليه .

وأما تحارُبهم وأكلُ بعضِهم بعضاً، وتركُهم الانقياد لرجل يسوسُهم ويجمعهم؛ فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا آنست من نفسها ضعفاً، وتخوّفت نُهوضَ عدوّها اليها بالزّحف، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهلُ بيتٍ واحد يُعرف فضلهم على سائر غيرهم ، فيُلقون اليهم أمورَهم، وينقادون لهم بأزمّتهم ؛ وأما العرب ، فإنّ ذلك كثيرٌ فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا مُلوكاً أجمعين، مع أنفتهم من أداء الخراج والوَظْف[1] بالعَسْف .

وأما اليمن التي وصفها الملِك ، فإنما أتى جدّ الملك الذي أتاه عند غَلبة الحَبَش له[2]، على مُلك متّسق ، وأمر مجتمع ، فأتاه

---

١ الوظف : طردك الطريدة ثم تكون في اثرها .

٢ اراد غلبة الحبش على سيف بن ذي يزن واستنجاده بجد كسرى .

مسلوباً طريداً مُستصرِخاً ، قد تقاصر عن إيوانه[1] ، وصغُر في عينه ما شيّد من بنائه ؛ ولولا ما وَتِر به مَن يَليه من العرب، لمالَ الى مَجال ، ولوَجَد من يُجيد الطعان ، ويَغضب للأحرار، من غَلبة العَبيد الأشرار .

قال : فعجب كِسْرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لأهلٌ لموضِعك من الرّياسةِ في أهل إقليمكَ ولما هو أفضل .

ثم كساه من كسوته ، وسَرّحه الى موضِعه من الحيرة .

فلما قَدِم النّعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها ممّا سمع من كسرى من تنقّص العرب وتهجين أمرهم ، بعث الى أكثَمَ بنِ صَيفيّ وحاجبِ بن زُرارة ، التميميّين، والى الحارث بن عُباد وقيس بن مَسعود[2] ، البَكرِيّين ، وإلى خالد بن جعفر وعَلقمة ابن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل ، العامريّين ، والى عمرو بن الشّريد السُّلَمي ، وعمرو بن مَعديكرب الزُّبيدي ، والحارث ابن ظالم المرّي . فلما قدِموا عليه في الخَوَرْنق[3] قال لهم :

---

١ تقاصر عن الشيء : أمسك عنه مع القدرة عليه . وفي الجملة تنازع على الفاعل : (ما شيد من بنائه) بين تقاصر عن ابوانه وصغر في عينه .

٢ قيس بن مسعود الشيباني البكري ذو الجدين . كان صاحب مسلحة كسرى على الطف ، وكان له مهارة ترعى فوق المتجشانية على ستة أميال من البصرة في مكان يعرف بروضة الخيل وهو حد بين العجم والعرب .

٣ الخورنق : قصر كان للنعمان بالحيرة .

قد عَرفتم هذه الأعاجم وقُرْبَ جِوار العرب منها، وقد سمعت من كسرى مقالاتٍ تخوّفتُ أن يكون لها غور، أو يكون إنما أظهرها لأمرٍ أراد أن يتّخذ به العربَ خولاً كبعض طماطمته[1] في تأدِيتهم الخراجَ اليه، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله؛ فاقتصَّ عليهم مَقالاتِ كِسرى وما ردّ عليه.

فقالوا: أيها الملك، وفّقك الله، ما أحسنَ ما رددت، وأبلغ ما حَجَجْته به! فمرْنا بأمرك، وادْعُنا الى ما شئت.

قال: إنما أنا رجل منكم، وإنما مَلَكتُ وعززتُ بمكانكم، وما يُتخوّف من ناحيتكم؛ وليس شيء أحبّ إليّ مما سدّد الله به أمرَكم، وأصلح به شأنكم، وأدام به عزّكم.

والرأيُ أن تَسيروا بجماعتكم أيها الرّهط وتَنْطلقوا الى كِسرى، فإذا دخلتم نَطق كلٌّ رجل منكم بما حَضره، ليعلم أنّ العرب على غير ما ظنّ أو حدّثته نفسُه، ولا ينطِقْ رجل منكم بما يُغضبه، فإنه ملك عَظيم السلطان، كثير الأعوان، مُترَف مُعجَب بنفسه؛ ولا تَنخزلوا[2] له انخزالَ الخاضعِ الذّليل، وليكن أمرٌ بين ذلك تَظهر به وَثاقةُ حلومكم، وفضلُ منزلتكم، وعظمةُ أخطاركم.

---

١ الطماطمة: من في لسانهم عجمة. واراد رعيته من الأجانب.

٢ لا تنخزلوا: اي لا يرد مقالكم تذلل.

وليكن أولَ من يبدأ بالكلام أكثمُ بن صَيفيّ ، لِسَنّ محلّه ، ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ؛ وإنما دعاني الى التقدمة بينكم علمي بميْل كلّ رجل منكم الى التقدّم قبل صاحبه ؛ فلا يكوننّ ذلك منكم فيجدَ في آدابكم مَطعناً ، فإنه ملك مُترف ، وقادر مُسلّط .

ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائفِ حُلل الملوك ، كلّ رجل منهم حُلّة ، وعمّمه عِمامة وختّمه بياقوتة، وأمر لكل رجل منهم بنَجيبة مَهْرِية[1] وفرس نَجيبة، وكتب معهم كتاباً:

« أما بعد، فإن الملِك ألقى إليّ من أمر العرب ما قد علم، وأجبتُه بما قد فهِم ، بما أحببتُ أن يكون منه على عِلم ، ولا يَتلجلج في نفسه[2] أن أمّةً من الأمم التي احتجزت دونه بمملكتها ، وحمت ما يليها بفضل قوّتها ، تبلُغها في شيء من الأمور التي يتعزّز بها ذوو الحزم والقوة والتّدبير والمكيدة .

وقد أوفدت أيها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم، وعُقولهم وآدابهم، فليسمع الملك، وليُغمِض عن جفاء إن ظهر من مَنطقِهم. وليُكرمني بإكرامهم، وتعجيل

---

١ المهرية : نسبة الى مهرة بن حيدان .

٢ لا يتلجلج في نفسه : اي لا يخالج نفس كسرى انه ينال شيئاً يأنف منه أهل الحزم من امة العرب التي استقلت بملكها عن دولة فارس .

مَراحِهم ، وقد نسبتُهم في أسفل كتابي هذا الى عشائرهم . »

فخرج القوم في أُهْبتهم، حتى وقفوا بباب كِسرى بالمدائن ، فدفعوا اليه كتابَ النُّعمان، فقرأه وأمر بإنزالهم الى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم .

فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مرازبته[1] ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسيّ عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الوَلاء والمَراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه ، وأقام التَّرْجُمان ليؤدي اليه كلامهم ، ثم أذِن لهم في الكلام.

فقام أكثم بن صَيفيّ فقال : إن أفضلَ الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال مُلوكُها ، وأفضلَ الملوك أعمُّها نفعاً ؛ وخيرَ الأزمنة أخصبُها ، وأفضلَ الخُطباء أصدقُها .

الصِّدق منجاة، والكَذِب مَهواة، والشرّ لجاجة[2]، والحزم مركب صَعب ، والعَجْز مركب وَطِيء[3]. آفة الرأي الهوى، والعَجْز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصَّبر .

حُسن الظَّنّ وَرْطة ، وسُوء الظن عِصمة . إصلاح فساد

---

١ مرازبته : رؤساء دولته ، واحدهم مرزبان .

٢ اللجاجة : تماحك الخصمين وتماديهما .

٣ وطيء : سهل لين .

الرعية خيرٌ من إصلاح فساد الراعي . مَن فسدت بطانته كان كالغاصّ بالماء . شرُّ البلاد بلادٌ لا أميرَ بها . شرّ الملوك من خافه البريء .

المرء يَعجِز لا المحالة[1] . أفضل الأولاد البَرَرة . خَيرُ الأعوان مَن لم يُراءِ بالنصيحة . أحقّ الجنود بالنصر من حَسُنت سَريرته .

يكفيك من الزاد ما بلّغك المحلّ . حسبك من شرٍّ سماعُه . الصمتُ حُكمٌ[2] وقليلٌ فاعله . البلاغة الإيجاز . مَن شدّد نفّر ، ومن تراخى تألّف .

فتعجّب كسرى من أكثم ، ثم قال : ويحك يا أكثم ! ما أحكمك وأوثق كلامَك لولا وَضْعُك كلامَك في غير موضعه!

قال أكثم : الصدقُ يُنبِيء عنك لا الوعيد .

قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى .

قال أكثم : رُبّ قول أنفذُ من صَول .

ثم قام حاجب بن زُرارة التميميّ فقال : وَرِي زَنْدُك[3] ،

---

١ المحالة : الحيلة .

٢ الحكم : الحكمة.

٣ وري الزند : خرجت ناره . الزند : العود يقتدح به .

وعَلَت يدك ، وهيب سلطانك .

إن العرب أمة قد غلُظت أكبادها، واستَحصَدَت مِرتُها[1]، ومَنعت دِرتُها[2] ؛ وهي لك وامقة ما تألّفتها، مُسترسلة ما لاينتها، سامِمة ما ساحتها ؛ وهي العَلقـم مرارة ، والصاب غضاضة ، والعَسل حلاوة ، والماء الزُلال سلاسة .

نحن وفودها اليك ، وألسنتُها لديـك ، ذِمّتنا محفوظـة ، وأحسابنا ممنوعة ، وعشائرنا فينا سامعة مُطيعة ، إن نَؤُب لك حامدين خيراً فلك بذلك عُمومُ محْمدتِنا، وان نَذُمّ لم نختص بالذم دونها .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حَجرَ التلال بألوان صَخرها .

قال حاجب : بل زئير الأسد بصَولتها .

قال كسرى : وذلك .

ثم قام الحارث بن عُباد البَكري فقال: دامت لك المملكة باستكمال جَزيل حظها ، وعلوّ سَنائها .

مَن طال رِشاؤه كثر مَتحُه[3] ، ومن ذهب ماله قـلّ

---

١ استحصدت : استحكمت . المرة : طاقة الحبل .

٢ الدرة : اللبن .

٣ الرشاء : الحبل . المتح : نزع الماء من البئر .

مَنْحُهُ. تَناقَل الأقاويل يُعْرَف به اللُّب، وهذا مَقام سيوجِف[1] بما يُنطَق فيه الرَّكْب، وتعرف به كُنْهَ حالنا العجمُ والعرب.

ونحن جيرانُك الأدنَوْن، وأعْوانك المُعِينون؛ خيولنا جَمّة، وجُيوشنا فخْمة؛ إن استنجدتنا فغير رُبُض[2]، وإن استَطرقتنا فغيرُ جُهُض[3]، وإن طَلبتنا فغَير غُمُض[4]، لا ننثني لذُعر، ولا نَتنكَّر لدهر؛ رِماحنا طِوال، وأعمارنا قِصار.

قال كسرى: أنفسٌ عزيزة، وأمة والله ضعيفة.

قال الحارث: أيها الملك، وأنّى يكون لضعيفٍ عِزّة، أو لصَغيرٍ مِرّة؟

قال كسرى: لو قَصُر عُمرك، لم تَستَولِ على لسانك نفسُك.

قال الحارث: أيها الملك، إنّ الفارس إذا حمل نفْسه على الكَتيبة، مُغرّراً بنفسِه على الموت، فهي مَنيّة استقبلها، وحياة استدبرها؛ والعرب تعلم أني أبعث الحربَ قُدُماً، وأحبِسها وهي تَصَرّفُ بهم؛ حتى إذا جاشت نارُها، وسَعَرت

---

١ يوجف: يسرع في سيره.

٢ اراد غير قاعدين عن نجدتك.

٣ اي ان استعنت بنا لبيناك.

٤ اي لا ننام.

اظاها ، وكشفت عن ساقها ، جعلتُ مقادَها رُمحي ، وبرْقَها سيفي ، ورَعْدَها زَئيري ، ولم أُقصّر عن خوض خضاخضها[1] ، حتى أنغمس في غمرات لُججها ، وأكونَ فَلْكاً لفرساني الى بحبوحة كَبْشِها[2] ، فأستمطرها دماً ، وأترك حماتها جَزَرَ السّباع[3] وكلّ نسرٍ قشعم[4] .

ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أكذلك هو ؟

قالوا : فَعاله أنطق من لسانه .

قال كسرى : ما رأيتُ كاليوم وفداً أحشدَ ، ولا شُهوداً أوفد .

ثم قام عمرو بن الشّريد السّلمي فقال : أيها الملك ، نَعِم بالُك ، ودام في السرور حالك ؛ إن عاقبة الكلام مُتدبّرة ، وأشكال الأمور مُعتبرة ، وفي كثيرٍ ثقْلة[5] ، وفي قليل بُلغة ، وفي الملوك سَورة العزّ[6] .

---

١ الخضاخض من الاماكن : الكثير الشجر والماء .

٢ الكبش : سيد القوم .

٣ جزر السباع : قطعاً .

٤ القشعم : المسن .

٥ الثقلة : ثقل الطعام في الجوف ، استعارها لما لا خير فيه من الكلام .

٦ سورة العز : سطوته .

وهذا موطن له ما بعده ، شَرُفَ فيه مَن شرُف ، وخَمَل فيه مَن خَمَل . لم نأتِ لضَيْمك ، ولم نَفِدْ لسُخْطك ، ولم نتعرض لِرِفْدك[1]؛ إن في أموالنا مُرتفَداً ، وعلى عزّنا مُعتمَداً؛ إن أوْرَيْنا ناراً أثقبنا[2]، وإن أوِدَ[3] دهرٌ بنا اعتدلنا؛ إلا أنّا مع هذا لجِوارك حافظون ، ولمن رامك مُكافحون؛ حتى يُحمَد الصَّدَر[4] ، ويستطاب الخبر .

قال كسرى : ما يقوم قَصْدُ منطِقك بإفراطك ، ولا مَدْحك بذَمّك .

قال عمرو : كفى بقليلِ قصْدي هادياً ، وبأيْسر إفراطي مُخبراً، ولم يُلَمْ مَن عَزَفَتْ نفسُه عما يعلم، ورضي من القصد بما بلغ .

قال كسرى : ما كل ما يَعرِف المرءُ ينطق به ، اجلس.

ثم قام خالد بن جعفر الكِلابيّ فقال : أحضَرَ الله الملكَ إسعاداً ، وأرشده إرشاداً ؛ إنّ لكل منطق فُرصة ، ولكل

---

١ الرفد : العطاء .

٢ أورى : أوقد . أثقب : أشعل .

٣ أود : اعوج .

٤ الصدر : الرجوع .

جابة[1] غُصَّة ؛ وعِيّ المنطق أشد من عِيّ السكوت ، وعِثار القول أنكى من عِثار الوَعْث[2] ؛ وما فُرْصة المنطق عندنا إلا بما نهوى ، وغُصّة المنطق بما لا نهوى غير مُستساغة، وتركي ما أعلم من نفسي ويَعلم مَن سَمِعَني أنني له مُطيق أحبُّ إليَّ من تكلّفي ما أتخوّف ويُتخوّف مني .

وقد أوفدَنا اليك ملكُنا النُّعمان ، وهو لك من خير الأعوان، ونِعْم حاملُ المعروف والاحسان. أنفسنا بالطاعة لك باخِعة[3]، ورِقابُنا بالنصيحة خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رَهينة .

قال له كسرى: نطقتَ بعقل، وسَموت بفَضْل، وعلَوت بنُبْل .

ثم قام عَلقمة بنُ عُلاثة العامريّ فقال: أنهجَتْ[4] لك سُبُلُ الرَّشاد ، وخضعت لك رقاب العباد ؛ إن للأقاويل مناهج ، وللآراء مَوالج[5] ، وللعَويص مخارج ؛ وخير القول أصدقُه ، وأفضل الطَّلَب أنجحُه .

---

١ الجابة : الاجابة

٢ الوعث : الطريق الصعب العسر .

٣ باخعة : خاضعة مقرة .

٤ أنهجت : وضحت .

٥ موالج : مداخل .

إنّا وإن كانت المحبّة أحضرتنا ، والوفادة قرّبتنا ، فليس من حضرك منّا بأفضل ممن عزب عنك ، بل لو قستَ كلّ رجل منهم ، وعلمتَ منهم ما علمنا ، لوجدتَ له في آبائه دُنياً أنداداً وأكفاء ، كلّهم إلى الفضل منسوب ، وبالشّرف والسّؤدد موصوف ، وبالرأي الفاضل والأدب النافذ معروف ؛ يحمي حماه ، ويروي ندامامه[1] ، ويذود[2] أعداه ؛ لا تخمد ناره ، ولا يحترز منه جاره .

أيها الملك ، من يبلُ[3] العربَ يعرفْ فضلهم ، فاصطنع العرب فإنها الجبال الرواسي عزّاً ، والبحورُ الزواخر طمياً[4] ، والنجوم الزواهر شرفاً ، والحصى عدداً ؛ فإن تعرف لهم فضلهم يعزّوك ، وإن تستنصرخهم لا يخذلوك .

قال كسرى ، وخشي أن يأتي منه كلامٌ يحمله على السّخط عليه : حسبُك ، أبلغتَ وأحسنت .

ثم قام قيس بن مسعود الشّيبانيّ فقال : أطاب الله بك

---

١ ندامامه ، واحدهم ندمان : النديم على الشراب .

٢ يذود : يدفع .

٣ يبلو : يجرب .

٤ طمياً : امتلاء وعلا .

المراشد، وجنّبك المصائب، ووقاك مكروه الشّصائب[1]، ما أحقّنا إذ أتيناك بإسماعك ما لا يُحْنِق صدْرك، ولا يَزرع لنا حقداً في قلبك.

لم نَقْدَم أيها الملك لمُساماة[2]، ولم نَنتسب لمُعاداة، ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومَن حضرك مِن وفود الأمم أنّا في المنطق غيرُ مُحجِمين، وفي البأس غير مُقصّرين، إن جُورينا فغير مَسبوقين، وإن سُومينا فغيرُ مَغلوبين.

قال كسرى: غير أنكم إذا عاهدتم غيرُ وافين. وهو يعرّض به في تركه الوفاء بضمانه السّواد[3].

قال قيس: أيها الملك، ما كنتَ في ذلك إلاّ كوافٍ غُدر به، أو كخافر[4] أُخفر بذمّته.

قال كسرى: ما يكون لضعيف ضمان، ولا لذليل خفارة.

قال قيس: أيها الملك، ما أنا فيما أُخفر من ذِمّتي، أحقُّ بإلزامي العارَ منك فيما قُتل من رعيّتك، وانتُهك من حُرمتك.

---

١ الشصائب: الشدائد، الواحدة شصيبة.

٢ المساماة: المغالبة في السمو والرفعة.

٣ اي سواد العراق.

٤ الخافر: المجير.

قال كسرى: ذلك لأن من ائتمن الخانة[1] واستنجد الأئمة ناله من الخطإ ما نالني ، وليس كلّ الناس سواء ؛ كيف رأيت حاجب بن زُرارة ، لم يُحكِم قُواه فيُبرم ، ويعهد فيُوفي ، ويَعِد فيُنجز ؟

قال : وما أحقّه بذلك وما رأيته إلاّ لي .

قال كسرى : القوم بُزْل[2] ، فأفضلها أشدّها .

ثم قام عامر بن الطُّفيل العامريّ فقال: كثُر فنون المنطق، ولَبْس القول[3] أعمى من حِنْدِس الظَّلماء[4] ؛ وإنما الفَخر في الفَعال ، والعزّ في النَّجدة، والسُّودد مُطاوعة القُدرة ، وما أعلمك بقَدْرنا ، وأبصرك بفضلنا، وبالحرى ، إن أدالت الأيام، وثابت الأحلام ، أن تُحْدث لنا أموراً لها أعلام[5] .

قال كسرى : وما تلك الأعلام؟

قال : مُجتمع الأحياء من ربيعة ومُضَر ، على أمر يُذكر .

قال كسرى : وما الأمر الذي يُذكر ؟

---

١ الخانة : جمع خائن .

٢ البزل ، واحدها بازل : الجمل المسن .

٣ لبس القول : جعله مشتبهاً بغيره ، خافياً .

٤ حندس الظلماء : ظلمتها .

٥ لها اعلام : اي مشهورة .

قال : ما لي عِلم بأكثر ممّا خبرني به مُخبر .

قال كسرى : متى تكاهنت يابن الطُفيل ؟

قال : لستُ بكاهن ، ولكني بالرُمح طاعن .

قال كسرى : فإن أتاك آتٍ من جهة عَيْنك العوْراء ما أنت صانع ؟

قال : ما هَيْبتي في قفاي بدون هَيْبتي في وجْهي ، وما أذهَبَ عيني عَيْثٌ[1] ، ولكن مُطاوعة العَبث .

ثم قام عمرو بن معديكرب الزُبيديّ فقال : إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فبلاغ المَنْطق الصَّواب ، ومِلاك النُجعة الارتياد[2] ، وعفو الرأي خير من استكراه الفِكرة ، وتوَقّف الخِبرة خير من اعتساف الحَيرة ؛ فاجْتَبذ[3] طاعتنا بلفْظك ، واكتَظم بادِرتنا بحِلمك، وألِن لنا كنفك يَسْلُس لك قيادُنا ، فإنا أُناس لم يُوقَس[4] صَفاتَنا قِراعُ مَناقير من أراد لنا قَضْماً، ولكن منَعْنا حِمانا من كل مَن رام لنا هضماً.

ثم قام الحارث بن ظالم المُرّي فقال : إنّ من آفة المَنْطِق

---

١ العيث : الافساد .

٢ النجعة : طلب الكلأ . الارتياد : تفقد ما في الارض من المراعي والمياه .

٣ اجتبذ: اجتذب .

٤ لم يوقس : لم يخدش .

الكذب ، ومن لؤم الأخلاق المَلَق ، ومِن خطل الرأي خِفّة الملِك المسلّط ؛ فإنّ أعلمناك أن مواجهتنا لك عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تَصاف ؛ فما أنت لقبول ذلك منّا بخَليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ؛ ولكن الوفاءُ بالعُهود ، وإحكام وَلْث العُقود ؛ والأمر بيننا وبينك مُعتدل ، ما لم يأتِ من قِبلك مَيْل أو زلل .

قال كسرى : من أنت ؟

قال : الحارث بن ظالم .

قال : إن في أسماء آبائك لدليلًا على قِلّة وفائك ، وأن تكون أولى بالغدر ، وأقربَ من الوِزْر .

قال الحارث : إنّ في الحق مَغْضبة ، والسّرو[1] التغافل ، ولن يَستوجب أحدٌ الحلم إلاّ مع القدرة ، فلتُشْبه أفعالك مجلسك .

قال كسرى : هذا فتى القوم . ثم قال كسرى : قد فهمتُ ما نَطقتْ به خطباؤكم ، وتفنّن فيه مُتكلّموكم ، ولولا أني أعلم أن الأدب لم يُثقّف أوَدَكم[2] ، ولم يُحكِم أمركم ، وأنه ليس

---

١ السرو : المروءة في شرف .

٢ اودكم : اعوجاجكم .

لكم مَلك يَجْمعكم فتنطقون عنده منطق الرعيّة الخاضعة الباخِعة[1] ، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم ، وغلب على طباعكم، لم أجز لكم كثيراً مما تكلّمتم به ؛ وإني لأكره أن أجبّه وفودي أو أخنق صدورهم، والذي أحبّ هو إصلاح مداركم، وتألّف شواذكم ، والإعذار الى الله فيما بيني وبينكم ، وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب ، وصفحت عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا الى ملككم فأحسنوا موازرته ، والتزموا طاعته، وارْدَعوا سفهاءكم، وأقيموا أوَدهم، وأحسنوا أدبهم ، فإنّ في ذلك صلاح العامة .

•

---

[1] الباخعة ، من بخع بالحق : اقر به واذعن .

وفود حاجب بن زرارة

على كسرى

العُتبي عن أبيه :

إن حاجب بن زرارة وفد على كسرى لمّا مَنع تميماً من رِيف العراق، فاستأذن عليه، فأوْصَل اليه: أسيّدُ العرب أنت؟

قال : لا .

قال : فسيّد مُضَر ؟

قال : لا .

قال : فسيّد بني أبيك أنت ؟

قال : لا .

ثم أذن له ، فلما دخل عليه ، قال له : من أنت ؟

قال : سيّد العرب .

قال : أليس قد أوصلتُ اليك ، أسيّد العرب ؟ فقلت لا ، حتى اقتصرتُ بك على بني أبيك فقلتَ لا ؟

قال له : أيها الملك ، لم أكن كذلك حتى دخلتُ عليك ، فلمّا دخلتُ عليك صِرتُ سيّد العرب .

قال كسرى : آه، املأوا فاه دُرّاً . ثم قال : إنكم معشر العرب غُدُر ، فإن أذِنتُ لكم أفسدتم البـــلاد ، وأغرتم على العباد ، وآذيتموني .

قال حاجب : فإني ضامن للملك أن لا يَفعلوا .

قال : فمن لي بأن تفيَ أنت ؟ قال : أرْهنك قوسي .

فلما جاء بها ضَحِكَ مَنْ حوله وقالوا : لهذه العصا يَفي .

قال كسرى : ما كان ليسلّمها لشيء أبداً .

فقبضها منه ، وأذِن لهم أن يدخلوا الرّيف .

ومات حاجب بن زُرارة ، فارتحل عُطارد بن حاجب الى كسرى يطلب قوسَ أبيه ؛ فقال له : ما أنت الذي رهنتها ؟

قال : أجل .

قال : فما فعل ؟

قال: هلك، وهو أبي، وقد وفى له قومُه ووفى هو للملك .

فردّها عليه وكساه حُلّة .

فلما وفد الى النبي ، صلى الله عليه وسلم، عُطارد بن حاجب وهو رئيس تميم ، وأسلم على يديه ، أهداها للنبيّ ، صلى الله عليه وسلم، فلم يَقبلها . فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم .

ثم إن مُضر أتت النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا

رسول الله ، هلك قومُك وأكلتهم الضَّبُع ، يريدون الجوع ، والعرب يُسمّون السنَة الضَّبُع والذّئب . قال جرير :

من ساقه السَّنة الحَصّاءُ والذّيبُ[1]

فدعا لهم النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فأَحيوا ؛ وقد كان دعا عليهم ، فقال : اللهم اشدُد وطأتك على مُضر ، وابعث عليهم سنين كسِني يوسف .

•

---

١ السنة الحصاء : الجرداء التي لا خير فيها .

وفود أبي سفيان الى كسرى

الأصمعيّ قال : حدّثنا عبدُ الله بن دينار عن عبد الله بن بَكر المُزّي قال : قال أبو سفيان :

أهديتُ لكسرى خيلاً وأدَماً[1] ، فقبل الخيلَ وردّ الأدم ، وأُدخلت عليه ، فكان وجهه وجهين من عِظَمه ، فألقى إليّ مِخدّة كانت عنده ، فقلت : واجوعاه ! أهذه حظّي من كسرى بن هُرمز ؟

قال : فخرجتُ من عنده ، فما أمُرّ على أحد من حشمه إلا أعظمها ، حتى دُفعتُ الى خازن له ، فأخذها وأعطاني ثمانمائة إناء من فِضّة وذهب .

قال الأصمعي : فحدّثت بهذا الحديث النّوشّجان الفارسيّ ، فقال :

كانت وظيفة المِخدّة ألفاً إلا أن الخازن اقتطع منها مائتين .

---

١ الادم : الجلد .

وفود حسان بن ثابت

على النعمان بن المنذر

قال : وفد حسّان بن ثابت على النعمان بن المُنذر قال : فلقيت رجلا ببعض الطريق ، فقال لي : أين تُريد ؟

قلت : هذا الملك .

قال: فإنك، إذا جئتَه، متروك شهراً ثم تُترك شهراً آخر، ثم عسى أن يأذنَ لك ، فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مُصيب منه خيراً ، وإن رأيت أبا أُمامة النابغة فاظعَن ، فإنه لا شيء لك .

قال: فقدِمت عليه ففعل بي ما قال، ثم خلوتُ به وأصبتُ مالاً كثيراً ونادمتُه ، فبينا أنا معه إذا رجل يرتجز حولَ القُبّة ويقول :

أنامَ أم يَسْمع ربُّ القُبَّه ؟ يا أوْهب الناس لعَنْسٍ صُلْبَه[1]

[1] العنس ، واحدتها عنس بفتح العين : الناقة القوية .

ضَرّابةٍ بالمِشْفر الأذِبَّه ، ذات نَجاء في يدَيها جَذْبه[1]

فقال النعمان : أبو أمامة ! ائذنوا له. فدخل فحيّاه وشرب معه ، ووردت النّعم السّود ؛ ولم يكن لأحد من العَرب بعيرٌ أسودُ غيره ، ولا يَفتحل أحدٌ فحلًا أسود . فاستأذنه النابغة في الانشاد فأذِن له ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

فإنّك شمسٌ والملوك كواكبٌ،
إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ

فأمر له بمائة ناقة من الابل السّود برُعاتها . فما حسدتُ أحداً قطُّ حَسدي له في شعره وجَزيل عطائه .

•

١ المشفر من البعير بمنزلة الشفة للانسان الأذبة : الذبان . النجاء : السرعة في السير . جذبة : طول واضطراب .

وفود قريش

على سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشة

نُعيم بن حمّاد قال : أخبرنا عبدُ الله بن المُبارك عن سُفيان الثّوْري قال : قال ابن عبّاس :

لما ظَفِر سيفُ بن ذي يَزَن بالحبشة ، وذلك بعدَ مولد النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، أتته وفودُ العرب وأشرافُها وشعراؤها تُهنّئه وتمدحه وتذكر ما كان من بَلائه وطلَبه بثأر قومه . فأتاه وفدُ قريش ، فيهم : عبدُ المطّلب بن هاشم ، وأميّة بن عبد شمس ، وأسد بن عبد العُزّى ، وعبدُ الله بن جُدعان ، فقَدِموا عليه وهو في قصْر له يُقال له غُمدان ، وله يقول أبو الصّلت ، والد أمية بن أبي الصلت :

لِيَطْلُب الثأر أمثالُ ابن ذي يَزَنٍ ،
لَجّجَ في البَحْر للأعداء أحوالا[1]

أتى هِرَقْلَ ، وقد شالت نَعامتُه ،
فلم يَجد عِنده القولَ الذي قالا[2]

---

١ لجج : خاض اللجة .

٢ شالت نعامته : غضب واخذته العزة .

ثم انثنى نحو كِسرى ، بعد تاسعةٍ
مِن السِّنينَ ، لقد أبعدتَ إيغالا[1]

حتى أتى بِبَنِي الأحرار يَقدُمهم ،
إنَّكَ ، عَمْري، لقد أسرعتَ إرقالا[2]

مَن مِثلُ كِسْرى وبَهْرام الجُنود له ،
ومِثل وَهْرِزَ، يوم الجَيْش، إذ جالا[3]

لله دَرُّهم مِن عُصْبةٍ خَرجوا ،
ما إنْ رأينا لهم ، في الناس ، أمثالا

صِيداً جَحاجحةً ، بِيضاً خَضارمةً ،
أُسْداً تُربِّب ، في الغابات ، أشبالا[4]

أرسلت أُسْداً على سُودِ الكلاب، فقد
غادرت أوجُهَهم، في الأرض، أفْلالا[5]

---

١ الايغال ، من اوغل : باعد في السير .

٢ بنو الأحرار : الفرس . الارقال : الاسراع .

٣ كسرى : هو انوشروان . بهرام : لعله اراد بهرام جور احد ملوك فارس . وهرز: هو وهرز اصبهد الديلمي الذي ارسله كسرى في اهل السجون لنجدة اليمن على الحبشة .

٤ صيداً : ملوكاً . جحاجحة وخضارمة : اي سادة . تربب: من التربيب ، وهو التربية .

٥ افلالا : منهزمين ، الواحد : فل .

اشربْ هنيئاً ، عليكَ التاجُ مُرتفقاً ،
في رَأسِ غُمدانَ داراً ، منكَ مِحْلالا[1]

ثم اطلِ بالمِسْكِ ، إذ شالت نعامتُهم ،
وأسبِلِ اليومَ ، في بُرْديكَ ، إسبالا[2]

تلكَ المكارمُ ، لا قَعبانِ من لبنٍ
شِيبا بماءٍ ، فعادا بعدُ أبوالا[3]

فطلبوا الاذن عليه ، فأذِنَ لهم ، فدخلوا فوجدوه مُتضمِّخاً بالعَنْبرِ يلمع وبيصُ المسكِ[4] في مَفرقِ رأسه ، وعليه بُردانِ أخضران ، قد ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ، وسيفُه بين يديه ، والملوك عن يمينه وشماله ، وأبناءُ الملوك والمَقاول[5] . فدنا عبد المطّلب فاستأذنه في الكلام ؛ فقال له : قُل ؛ فقال : إن الله تعالى أيها الملك أحلّكَ محلاً رفيعاً ، صَعْباً منيعاً ، باذخاً شامخاً ، وأنبتك مَنْبِتاً طابت أرُومته ، وعزّت جُرثومته ، ونَبُل أصله ، وبَسَق فَرْعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت ،

---

١ مرتفق : ثابت دائم . غمدان : قصر لملوك اليمن . محلال : تحل فيه كثيراً .
٢ شالت نعامتهم : تفرقوا وهلكوا . الاسبال : ارخاء الثوب ، ويريد الخيلاء .
٣ القعبان ، مثنى قعب : قدح يحلب فيه . شيبا : مزجا .
٤ وبيص المسك : بريقه .
٥ المقاول ، واحدها مقول : الملك دون الملك الاعلى .

أَبَيْتَ اللعن ، رأسُ العرب ، وربيعُها الذي بـه ، تُخْصِب ، وملكها الذي له تَنْقاد ، وعمودها الذي عليه العِماد، ومَعْقِلها الذي اليه يلجأ العباد ؛ سَلفكَ خَيرِ سَلَف ، وأنت لنا بعدهم خير خَلَف ؛ ولن يَهْلِكَ من أنت خلَفه ، ولن يَخْمُل من أنت سَلفه .

نحن أيها الملك أهل حَرم الله وذمّته وسَدَنَة بيته ، أشخصنا اليك الذي أنهجك[1] لكَشْفك الكَرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة .

قال : من أنت أيها المتكلم ؟

قال : أنا عبدُ المطلب بن هاشم .

قال : ابنُ أختنا ؟

قال : نعم .

فأدناه وقرّبه ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال: مَرْحباً وأهلاً، وناقةً ورحْلا ، ومستناخاً سهلا ، ومَلِكاً رِبَحْلا[2] ، يُعطي عَطاءً جَزْلاً ؛ فذهبت مثلا .

وكان أوّل ما تكلّم به : قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف

---

١ انهجك : سيرك ، جعلك تنهج ، تسير .

٢ الربحل : العظيم .

قرابتكم، وقَبيل وسيلتكم، فأهل الشرف والنباهة أنتم ، ولكم القُربى ما أقمتم ، والحِباء إذا ظَعنتم .

قال : ثم استُنهضوا الى دار الضيافة والوفود ، وأُجريت عليهم الأنزال ، فأقاموا ببابه شهراً لا يصِلون اليه ، ولا يأذن لهم في الانصراف . ثم انتبه اليهم انتباهة فدعا بعبد المطلب من بينهم ، فخلا به وأدْنى مجلسه ، وقال: يا عبدَ المطلب ، إني مُفوّض اليك من سِرّ علمي أمراً لو غيرك كان لم أبُح له بـه ، ولكني رأيتك مَوضِعه فأطلعتُك عليه ، فليكن مَصوناً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغُ أمره : إني أجد في العِلم المخزون ، والكتاب المكنون ؛ الذي ادّخرناه لأنفسنا ، واحتجبناه دون غيرنا؛ خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً؛ فيه شرفُ الحياة ، وفضيلة الوفاة ؛ للناس كافة ، ولرهطك عامة ، ولنفسك خاصّة .

قال عبد المطلب: مِثلك يأيّها الملك من بَرّ وسرّ وبشّر، ما هو ؟ فداك أهل الوبَر ، زُمراً بعد زُمر .

قال ابنُ ذي يزن : إذا وُلد مولود بتِهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الامامة ، الى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : أبَيتَ اللعن، لقد أبْتُ بخير ما آبَ به أحد ، فلولا إجلالُ الملِك لسألتُه أن يَزيدني في البِشارة ما

أزدادُ به سروراً .

قال ابن ذي يزن : هذا حينه الذي يُولد فيه أو قد وُلد ، يموت أبوه وأمُّه ، ويكفُله جَدّه وعمّه ؛ وقد ولدناه مِراراً ، والله باعثه جهاراً ، وجاعلٌ له منّا أنصاراً ؛ يُعزّ بهم أولياءه ، ويُذلّ بهم أعداءه ، ويفتتح كرائم الأرض ، ويَضرب بهمُ الناس عن عُرض ؛ يُخمد الأديان ، ويَدحَر الشيطانَ ، ويَكسِر الأوثان ، ويَعْبدُ الرحمن ؛ قولُه حُكم وفصل ، وأمره حَزم وعدْل ؛ يأمر بالمعروف ويَفعله ، وينهى عن المنكر ويُبْطله .

فقال عبدُ المطلب : طال عُمرك ، ودام مُلكك ، وعلا جَدُّك ، وعزّ فخرك ؛ فهل الملِك يَسُرّني بأن يُوضح فيه بعضَ الايضاح ؟

فقال ابن ذي يزن : والبيت ذي الطُّنُب ، والعلامات والنُّصب ، إنك يا عبدَ المطلب ، لجدُّه من غير كَذب .

فخرّ عبدُ المطلب ساجداً .

قال ابن ذي يزن : ارفع رأسك ، ثَلِج صدرُك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئاً مما ذكرتُ لك ؟

قال عبد المطلب : أيها الملك ، كان لي ابنٌ كنتُ له مُحبّاً وعليه حَدِباً مُشفقاً ، فزوّجته كريمةً من كرائم قومه ، يقال

لها آمنةُ بنت وَهْب بن عبد مناف ، فجاءت بغلام بين كتفيه شامة ، فيه كلُّ ما ذكرتَ من علامة ؛ مات أبوه وأمه ، وكفلتهُ أنا وعمّه .

قال ابن ذي يزن : ان الذي قلتُ لك كما قلت ، فاحفظ ابنك ، واحذر عليه اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل اللهُ لهم عليه سبيلا ؛ اطوِ ما ذكرتُ لك ، دون هؤلاء الرّهط الذين معك ، فإني لست آمن أن تدخلهم النّفاسة ، من أن تكون لكم الرّياسة ؛ فيَبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، وهم فاعلون وأبناؤهم. ولولا أني أعلم أنّ الموت مُجتاحي قبلَ مَبعثه لسرت بخيلي ورَجْلي حتى أصير بيثربَ دارِ مُهاجره . فإني أجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أنّ يثرب دارُ هجرته ، وبيتُ نصرته ، ولولا أني أتوقّى عليه الآفاتِ ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنّه أمْره ، وأوطأت أقدام العرب عَقِبه ؛ ولكني صارفٌ ذلك اليك عن غير تقصير مني بمن معك .

ثم أمر لكل رجل منهم بعَشرة أعْبد ، وعَشر إماء سُودٍ ، وخمسة أرطال فضّة ، وحُلّتين من حُلل اليمن ، وكَرِش مملوءة عنبراً . وأمر لعبد المطلب بعَشرة أضعاف ذلك ، وقال : إذا حال الحوْل فأنبئني بما يكون من أمره .

فما حال الحول حتى مات ابنُ ذي يزن ، فكان عبد المطلب ابن هاشم يقول : يا معشر قريش، لا يَغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فإنه الى نَفاد ، ولكن يَغبطني بما يبقى لي ذِكره وفخره لِعَقبي ؛ فإذا قالوا له: وما ذاك ؟ قال: سيظهر بعد حين .

•

وفود عبد المسيح على سطيح

جرير بن حازم عن عِكرمة عن ابن عبّاس قال :

لما كان ليلةَ وُلد النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ارتجّ إيوانُ كسرى ، فسقطتْ منه أربع عشرةَ شُرفة ؛ فعظُم ذلك على أهل مملكته ، فما كان أوشك أن كتب اليه صاحبُ اليمن يخبره أنّ بُحيرة ساوة غاضتْ تلك الليلة .

وكتب اليه صاحب السّماوة يُخبره أن وادي السماوة انقطع تلك الليلة .

وكتب اليه صاحب طَبَريّة أنّ الماء لم يَجْرِ تلك الليلة في بُحيرة طَبرية .

وكتب اليه صاحبُ فارس يُخبره أن بيوت النيران خَمدت تلك الليلةَ ولم تَخْمُدْ قبل ذلك بألف سنة .

فلمّا تواترت الكتبُ أبرز سريره وظهر لأهل مملكته ، فأخبرهم الخبر ؛ فقال المُوبذان[1] : أيها الملك ، إني رأيت تلك الليلة رُؤيا هالتني .

---

١ الموبذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

قال له : وما رأيتَ ؟

قال : رأيتُ إبلاً صِعاباً ، تقود خيلاً عِراباً ، قد اقتحمت دِجْلة وانتشرت في بلادنا .

قال : رأيتَ عظيماً ، فما عندك في تأويلها ؟

قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسِل الى عاملك بالحيرة ، يُوجّه اليك رجلاً من عُلمائهم ، فإنهم أصحاب علم بالحِدثان .

فبعث[1] اليه عبد المسيح بن نُفَيلة الغسّاني، فلما قَدِم عليه، أخبره كسرى الخبر، فقال له : أيها الملك، والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن جَهّزني الى خالٍ لي بالشام، يقال له سَطيح .

قال : جَهّزوه ؛ فلما قدِم على سَطيح وجده قد احتُضِر ، فناداه فلم يُجبه ، وكلّمه فلم يَرُدّ عليه ، فقال عبدُ المسيح :

أصمُّ أم يَسمع غِطْريفُ اليمن؟
يا فاصلَ الخُطّة أعيتْ مَن ومَن[2]

---

[1] الضمير في بعث يعود الى عامل الحيرة .

[2] الغطريف : السيد . من ومن : كناية عن اصحاب العلم والمعرفة .

أتاكَ شيخُ الحيِّ من آل سَنَن،
أبيضُ فَضْفاضُ الرِّداءِ والبَدَن[1]

رسولُ قَيْلِ العُجْم يَهْوي للوَسَن،
لا يَرهب الرَّعْد ولا رَيْب الزَّمن[2]

فرفع اليه رأسه ، وقال : عبدُ المسيح، على جمل مُشيح[3]، إلى سَطيح ، وقد أوفى عن الضَّريح ؛ بعثك ملكُ بني ساسان، لارتجاج الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبَـذان ؛ رأى إبلاً صِعاباً، تقود خَيْلاً عِراباً؛ قد اقتحمتْ في الواد، وانتشرت في البلاد .

يا عبد المسيح، إذا ظهرت التِّلاوة[4]، وفاض وادي السَّماوة، وغاضت بحيرة ساوة ، وظهر صاحب الهِراوة[5] ، وخمـدت نار فارس ؛ فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسَطيح شاماً ، يَمْلك منهم مُلوكٌ ومَـلِكات ، عَدد سُقوط الشُّرفات ، وكل ما هو آتٍ آت . ثم قال :

---

١ فضفاض : واسع .
٢ القيل : الملك .
٣ مشيح : جاد في السير .
٤ التلاوة : القراءة بصوت رفيع . واراد تلاوة القرآن .
٥ صاحب الهراوة: اراد به النبي لانه كان يمسك عصا عند مشيه والهراوة: العصا.

إنْ كان مُلْكُ بَني ساسانَ أفرطَهم،
فإنّ ذا الدَّهرَ أطوارٌ دَهاريرُ[1]

منهم بنو الصَّرحِ بَهْرام وإخوتُه،
والهُرْمُزانُ وَسابورٌ وسابور

فرُبَّما أصْبَحوا منهم بِمَنْزلة،
يَهابُ صَوْلَتَهم الأُسْدُ المَهاصيرُ[2]

حَثُّوا المطيَّ وجَدُّوا في رِحالهم،
فما يَقومُ لهم سَرْجٌ ولا كُورُ[3]

والناسُ أولادُ عَلّاتٍ، فمن عَلِموا
أن قد أقلَّ، فَمَحْقُورٌ ومَهْجورُ[4]

والخيرُ والشَّرُّ مَقْرونان في قَرَنٍ،
فالخيرُ مُتَّبَعٌ، والشرُّ مَحْذور

ثم أتى كسرى فأخبره، فغمّه ذلك. ثم تعزّى فقال: الى أن يَمْلِكَ منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان. فهَلكوا كلُّهم في أربعين سنة.

---

١ افرطهم: تركهم. دهارير: شديدة.

٢ المهاصير، واحدها مهصار أو مهصير: الأسد.

٣ الكور: الرحل بأداته.

٤ اولاد علات: اولاد امهات شتى من رجل واحد.

وفود همدان على النبي

صلى الله عليه وسلم

قدِم مالك بن نَمَط في وفد هَمْــدان ، على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلقُوه مُقبلاً من تَبوك ، فقال مالــك بن نَمَط : يا رسول الله، نصيّة[1] من هَمْدان، من كل حاضر وباد، أتَوْك على قُلُص نواج[2]، مُتصلة بحبائل الاسلام، لا تأخذهم في الله لوْمة لائم ، من مخلاف خارف ويام وشاكر[3] . عَهْدُهم لا يُنقض عن سُنّة ماحِل[4] ولا سوداءَ عَنْقَفير[5]، ما أقام لعلَع[6]، وما جرى اليَعْفور[7] بصَلَع[8] .

---

١ النصية : خيار القوم .

٢ القلص : الابل الفتية . نواج : مسرعة .

٣ المخلاف : الناحية، وهو لليمن كالرستاق لغيرهم. خارف ويام وشاكر : قبائل من اليمن .

٤ السنة : الطريقة . الماحل : الساعي بالنميمة والافساد .

٥ العنقفير : الداهية .

٦ لعلع : جبل كانت به وقعة .

٧ اليعفور : ولد الظبية .

٨ صلع : الارض لا نبات فيها .

فكتب اليهم النبيّ، صلى الله عليه وسلم: هذا كتاب من محمد رسول الله إلى مِخلاف خارف، وأهل جِناب الهضْب، وحِفاف الرّمل، مع وافدها ذي المشعار[1]، مالك بن نمَط، ومن أسلم من قومه، أنّ لهم فِراعَها[2] ووِهاطها[3] وعَزازها[4] ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون عِلافها[5] ويرْعَون عَفاها[6]، لنا من دِفئهم[7] وصِرامهم[8] ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصّدقة الثّلْب[9] والناب والفَصيل والفارض[10] الداجن والكبش الحَوَريّ[11]، وعليهم الصالغ والقارح[12].

---

١ ذو المشعار: لقب الوافد، القادم. والمشعار: موضع في اليمن.
٢ الفراع: ما علا من الجبال والارض، الواحد: فرعة.
٣ الوهاط: المنخفض المطمئن منها.
٤ العزاز: ما صلب من الارض واشتد وخشن.
٥ العلاف، واحدها علف: وهو ما تأكله الدواب.
٦ عفاها: المباح الذي ليس لاحد فيه ملك ولا أثر.
٧ دفئهم: ابلهم وغنمهم.
٨ الصرام: النخل.
٩ الثلب: الجمل تكسرت أسنانه.
١٠ الفارض: المسن من الابل.
١١ الحوري: منسوب الى الحورة، وهي ما دبغ من الجلود بغير القرظ.
١٢ الصالغ من الشياه: كالقارح من الخيل، وهي التي دخلت في الخامسة أو السادسة.

وفود النخعي على النبي

صلى الله عليه وسلم

قدم أبو عمرو النخَعي على النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني رأيتُ في طريقي هذه رُؤيا، رأيت أتاناً تركتُها في الحيّ ولدت جَدياً أسفع[1] أحوى[2].

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: هل لك من أمَة تركتَها مُصِرّةً حَمْلاً[3]؟

قال: نعم، تركتُ أمَةً لي أظنّها قد حَملت.

قال: فقد ولدت غُلاماً وهو ابنُك!

قال: فما له أسفع أحوى؟

قال: ادْنُ منّي.

فدنا منه. فقال: هل بك بَرص تكتمه؟

قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيّاً ما رآه مخلوق ولا عَلِم به.

---

١ اسفع: اسود مشرب حمرة.

٢ احوى، من الحوة: سواد الى خضرة، او حمرة الى سواد.

٣ مصرة حملاً: مقيمة على حمل.

قال : فهو ذلك .

قال : ورأيتُ النُّعمان بن المنْذر عليه قرْطان ودُمْلَجان ومَسَكتان[1] .

قال : ذلك مُلْكُ العرب عاد إلى أفضل زيّه وبهْجَته .

قال : ورأيت عجوزاً شَمطاء تخرج من الأرض .

قال : تلك بقيّة الدنيا .

قال : ورأيتُ ناراً خرجتْ من الأرض فحالت بيني وبين ابنٍ لي يُقال له عمرو ، ورأيتها تقول : لظىً لظىً ، بصير وأعمى ، أطعِموني ، آكلكم آكلكم ، أهلِككم وما لكم .

فقال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : تلك فِتنة في آخر الزمان .

قال : وما الفِتنة يا رسول الله ؟

قال : يَقتل الناس إمامهم ثم يَشتجرون اشتجارَ أطباق الرأس[2] ، وخالف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بين أصابعه ، يحسب المسيءُ أنه مُحسن ، وَدمُ المؤمن عند المُؤمن أحلى من شُرب الماء .

---

١ المسكة : السوار من عاج .
٢ اطباق الرأس : عظامها .

وفود كاب على النبي

صلى الله عليه وسلم

قدم قَطَن بن حارثة العُلَيْمِيّ في وفد كلب على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فذكر كلاماً ، فكتب له رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، كتاباً نسخته :

هذا كتاب من محمد رسول الله لعمائر[1] كلب وأحلافها ، ومَن ظأرَه[2] الاسلام من غيرها ، مع قطن بن حارثة العُليمي، بإقامة الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة لحقّها ، في شدّة عَقدها ، ووفاء عَهْدها ؛ بمَحْضَر شهود من المسلمين : سَعْد بن عُبادة ، وعبد الله بن أُنَيْس ، ودِحْيَة بن خليفة الكلبي . عليهم في الهَمولة الرّاعية[3] البساط الظُّؤار[4] ، في كل خمسين ناقة غيرُ

---

١ العمائر ، واحدتها عمارة : وهي اصغر من القبيلة .
٢ ظأره : اي عطفه عليه .
٣ الهمولة الراعية : التي اهملت ترعى بأنفسها .
٤ البساط ، واحدتها بسط : الناقة التي تركت وولدها لا يمنع منها . الظؤار : المرضعات ، واحدتها ظئر .

ذاتِ عَوارٍ[1] ، والحَمُولة[2] المائرة[2] لهم لاغية ؛ وفي الشَّوِيِّ الوَرِيِّ[3] مُسِنَّة حامل أو حائل[3] ، وفيما سقى الجدول من العَيْن المعين[4] العُشْرُ من ثمرها مما أخرجت أرضُها، وفي العِذْيِ[5] شطره بقيمة الأمين، فلا تزاد عليهم وظيفة ولا يُفرَّق، يشهد الله تعالى على ذلك ورسوله ، وكتب ثابت بن قيس بن شمّاس .

١ العوار : العيب .
٢ الحمولة : الابل . المائرة : التي تحمل عليها الميرة .
٣ الشوي : اسم جمع للشاة . الوري : السمين . الحائل : غير الحامل .
٤ الماء المعين : الظاهر الجاري على وجه الارض بلا تعب .
٥ العذي من الزرع والنخيل : ما لا يسقى الا بماء السماء .

وفود ثقيف على النبي

صلى الله عليه وسلم

وفدت ثَقِيف على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فكتب لهم كتاباً حين أسلموا : ان لهم ذمّة الله ، وانّ واديَهم حرام عضاهه[1] وصَيْده وظُلْم فيه ، وانّ ما كان لهم من دَين الى أَجل فبلغ أجله فإنه لِياط[2] مُبرَّأ من الله ورسوله، وانّ ما كان لهم من دَين في رَهْن وراء عُكاظ فإنه يُقضى الى رأسه ويُلاط بعُكاظ .

---

١ العضاه : شجر عظيم له شوك .

٢ اللياط : الربا .

وفود مذحج على النبي

صلى الله عليه وسلم

وفد ظَبْيان بن حدّاد في سَراة مَذحِج على النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فقال بعد السلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والثناء على الله، عزّ وجلّ، بما هو أهله: الحمد لله الذي صَدَع[1] الأرض بالنبات، وفتق السماء بالرَّجع[2].

ثم قال: نحن قوم من سَراة مَذحِج من يُحابر بن مالك. ثم قال: فتوقّلت[3] بنا القِلاص[4]، من أعالي الحَوْف[5] ورؤوس الهِضاب، ترفعها عُرَرُ الرُّبى[6]، وتخفِضها بُطنان الرِّقاق[7]،

---

١ صدع: شق.
٢ الرجع: المطر بعد المطر.
٣ توقلت: صعدت.
٤ القلاص: الابل الفتية، واحدتها قلوص.
٥ الحوف: بلد بعمان.
٦ العرر، واحدتها عرة: شحمة السنام العليا، اراد ذروة الربوة.
٧ البطنان: ما غمض من الارض. الرقاق: ما اتسع من الارض ولان، واحدها: رق.

وتَلحفها دَياجي الدُّجى .

ثم قال: وسَرَوات الطائف كانت لبني مَهْلائيل بن قينْان، غرسوا وِديانه ، وذللوا خِشانه ، ورَعَوا قُريانه[1] .

ثم ذكر نوحاً حين خرج من السفينة بمن معه ، قال : فكان أكثرَ بَنيه بَناتاً ، وأسرَعهم نباتاً ، عادٌ وثمود ، فرماهم الله بالدُّمالق[2] ، وأهلكهم بالصَّواعق .

ثم قال : وكانت بنو هانىء من ثمود تَسكن الطائف ، وهم الذين خَطُّوا مشاربها ، وأتَوا جداولها[3] ، وأحْيَوا غِراسها ، ورفعوا عَريشها .

ثم قال : وإنَّ حِمْير ملكوا مَعاقل الأرض وقرارها ، وكُهول الناس وأغمارها[4] ، ورؤوس الملوك وغِرارها[5] ، فكان لهم البيضاء والسَّوداء ، وفارسُ الحمْراء ، والجِزية الصَّفراء[6] ؛ فبَطِروا النِّعم ، واستحقّوا النِّقم ، فضرب الله بعضَهم ببعض .

---

١ قريانه ، واحدها قري : مجرى الماء .
٢ الدمالق : الاملس المستدير من الحجارة .
٣ اتوا جداولها : سهلوا طرق المياه اليها .
٤ الاغمار ، واحدها غمر : الحدث الذي لا تجربة له .
٥ الغرار ، واحدها غر : القليل الفطنة .
٦ الصفراء : اراد بها الذهب .

ثم قال : وإن قبائل من الأزدِ نزلوا على عهد عَمرو بن عامر ، ففتحوا فيها الشّرائع[1] ، وبنَوا فيها المصانع[2] ، واتخذوا الدّسائع[3] ، ثم ترامت مَذحج بأسنّتها ، وتنزّت[4] بأعنّتها ، فغلب العزيزُ أذلّها ، وقتل الكثيرُ أقلّها .

ثم قال : وكان بنو عمرو بن جَذيمة يَخبِطون عَضيدها[5] ، ويأكلون حَصيدها ، ويُرشّحون[6] خَضيدها[7] .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : إن نعيم الدنيا أقل وأصغر عند الله من خُرْء بُعَيضة ، ولو عَدلت عند الله جَناح ذُباب لم يكن لكافر منها خَلاق[8] ، ولا لمسلم منها لَحاق .

---

١ الشرائع ، واحدتها شريعة : مورد الشاربة .
٢ المصانع : المباني من القصور والحصون .
٣ الدسائع ، واحدتها دسيعة : الدسكرة .
٤ تنزت : توثبت .
٥ العضيد : ما قطع من الشجر .
٦ يرشحون : يقومون عليه ويصلحونه .
٧ الخضيد : المقطوع من شجر الثمر .
٨ خلاق : نصيب .

وفود لقيط بن عامر

ابن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم

وَفَد لقيطُ بن عامر بن المُنْتفق على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ومعه صاحب له ، يقال له نَهِيك بن عاصم بن المُنْتفق . قال لقيط : فخرجتُ أنا وصاحبي حتى قدِمنا لانسلاخ رجب ، فأتينا رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين انصرف من صلاة الغَداة ، فقام في الناس خطيباً ، فقال : أيها الناس ، ألا إنّي قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيّام لتسمعوا الآن، ألا فهل من امرىء قد بعثه قومه ؟ — فقالوا: اعلَم لنا ما يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم — ألا ، ثم لعلّه أن يُلهيه حديثُ صاحبه أو يُلهيه ضالّ ، ألا وإني مسؤول هل بلّغت ، ألا اسمعوا ، ألا اجلسوا .

فجلس الناس ، وقمتُ أنا وصاحبي ، حتى إذا فرغ لنا فؤادُه وبصرُه، قلت: يارسولَ الله، ما عندك من عِلم الغَيب؟

فضحك لعمرُ الله وهزّ رأسَه ، وعَلِم أني أبتغي سَقطه ؛ فقال : ضَنّ ربُّك ، عزّ وجلّ ، بمفاتيحِ خَمْس من الغَيْب لا يعلمهن الا الله : عِلم المنيّة ، قد عَلِم متى مَنيّة أحدكم ولا

تَعلمونه ؛ وعِلم ما في غد ؛ وعِلم مـــا في الرَّحم ، قد عَلِمه ولا تعلمونه ؛ وعلِم الغَيْث ، يُشرف عليكم آزِلِين مُسْنِتين[1] فيَظل يَضحك ، قد عَلِم أن عونكم قريب — قال لقيط : لن نَعْدَم من ربّ يَضحك خيراً — وعِلم يوم الساعة ؛ قلت : يا رسول الله ، إنّي سائلك عن حاجتي فلا تُعجِلني .

قال : سَلْ عما شئت .

قال : قلت : يا رسول الله ، عَلّمنا مما لا يعلم الناس ومما تعلم ، فإنّا من قَبيلٍ لا يصدّقون تصديقنا أحداً ، من مَذحِج التي تَدنو الينا ، وخَثْعم التي تُوالينا ، وعَشيرتنا التي نحن منها .

قال رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، تَلبثون مـا لبثتم ، ثم يُتوفى نبيُّكم ، ثم تَلبثون حتى تُبعث الصَّيحة[2] ، فلعَمْرُ إلهك ما تَدع على ظهرها من شيء إلا مات والملائكة الذين عند ربك ، فيُصْبح ربك يَطوف في الأرض وقد خَلت عليه البلاد ، فيُرسل ربُّك بهَضب[3] من عند العرْش ، فلعمر إلهك ما تَدَع على ظهرها من مَصرع قَتيل ، ولا مَدفن ميّت إلا شَقّت

---

١ الآزل : الذي صار في جدب وقحط . المسنت : المجدب .

٢ الصيحة : اي القيامة .

٣ الهضب : المطر .

القبر عنه حتى تخلقه من قِبَل رأسه ، فيستوي جالساً. ثم يقول ربك : مَهْيَم[1] – لما كان فيه – فيقول : يا رب ، أمس! اليوم ! ولعهده بالحياة يحسبه حديث عهد بأهله .

فقلت : يا رسول الله ، كيف يجمعنا بعدما قد تُفرّقنا الرياح والبِلى والسّباع ؟

قال : أنبئك بمثل ذلك في إلّ الله[2] ، أشرفتُ على الأرض وهي مَدرة يابسة ، فقلت : لا تحيا هذه أبداً ؛ ثم أرسل ربُّك عليها السماء فلم تلبث إلا أياماً حتى أشرفتُ عليها وهي شَرَبة[3] واحدة . ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نباتَ الأرض ، فتخرجون من الأصواء – قال ابن إسحاق : الاصواء : أعلام القبور – ومن مصارعكم ، فتنظرون اليه ساعة وينظر اليكم .

قال : قلت : يا رسول الله ، كيف ونحن مِلء الأرض وهو شخص واحد ينظر الينا ونَنظر اليه ؟

قال : أنبئك بمثل ذلك في إلّ الله ، الشمس والقمر آية منه صغيرة ، ترونهما ويريانكم ساعة واحدة .

---

١ مهيم : كلمة يمانية معناها : ما الامر وما الشأن .

٢ في ال الله : اي في ربوبيته وألوهيته وقدرته .

٣ الشربة : حوض يكون في اصل النخلة وحولها يملأ ماء لتشربه .

قال : قلت : يا رسول الله، فما يفعل بنا ربُّنا إذا لقيناه؟

قال : تُعْرَضون عليه بادية له صفحاتُكم لا تخفى منكم خافية، فيأخذ ربُّك ، عز وجل ، بيده غَرفة من الماء ، فينْضَح[1] بها قِبَلكم ، فلعمر إلهك ما تُخطىء وجه واحد منكم قطرة ، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الرَيطة[2] البيضاء، وأما الكافر فتَخطِمه بمثل الحَمَم[3] الأسود ، ثم ينصرف نبيّكم ويتفرّق على أثره الصالحون ؛ قال: فتسلكون جِسْراً من النار ، فيطأ أحدُكم الجمْر ، فيقول : حس ؛ فيقول ربك ، عز وجل : أوانّه ؟ فتطّلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهلُه ، فلعمر إلهك ما يَبْسُط أحدُ منكم يدَه إلا وقع عليها قدح يُطهّره من الطَّوف[4] والبَول والأذى، وتُحْبَس الشمس والقمر فلا ترَون منهما أحداً .

قال : قلت : يا رسول الله ، فبِمَ نُبصر يومئذ ؟

قال : بمثل بَصر ساعتك ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال .

---

١ ينضح : يرش .

٢ الريطة : كل ملاءة ليست بلفقين .

٣ تخطمه : تصيب خطمه ، أنفه . الحمم : الفحم .

٤ الطوف : الحدث من الطعام .

قال: قلت: يا رسول الله، فبمَ نُجزى من سيئاتنا وحسناتنا؟

قال: الحسنة بعشر أمثالها، والسيّئة بمثلها أو يعفو.

قال: قلت: يا رسول الله، فما الجنة وما النار؟

قال: لعمر إلهك، إنّ للنار سبعة أبواب ما منها بابان إلا يَسير الراكبُ بينهما سبعين عاماً، وإنّ للجنة لثمانية أبواب، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً.

قال: قلت: يا رسول الله، فعلامَ نطّلع من الجنة؟

قال: على أنهار من عسل مُصفّى، وأنهار من كأس ما بها صُداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمُه، وماء غير آسِن، وفاكهة، لعمر إلهك ما تعلمون، وخَيرٌ من مثله معه، وأزواج مطهّرة.

قال: قلت: يا رسول الله، أوَلنا فيها أزواج، أوَمنهن صالحات؟

قال: الصالحات للصالحين، تلَذّون بهنّ مثل لذاتكم في الدنيا ويَلذذن بكم، غير أن لا تَوالد.

قال لقيط: قلت: أقصى ما نحن بالغون ومُنتهون اليه. فلم يُجبْه النبيّ، صلى الله عليه وسلم. قال: قلت: يا رسول الله، عَلامَ أبايعك؟

قال : فبَسط إليّ يده وقال : على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وزيال الشرك ، فلا تُشرك بالله إلهاً غيره .

قال : فقلت : وإن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟

فقبض يدَه وظنّ أني أشترط عليه شيئاً لا يُعطينيه . قال: قلت : نَحُلُّ منها حيث شئنا ، ولا يجزي عن امرىء إلا نفسه؟

فبسط إليّ يده وقال : ذلك لك : حُلّ حيث شئت ، ولا يجزي عنك إلا نفسك . فانصرفنا عنه .

•

وفود قيلة على النبي

صلى الله عليه وسلم

١

خرجت قَيْلة بنتُ مَخْرمة التميميّة تبغي الصُّحبة الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، وكان عمُّ بناتها، وهو أثوب بن أزهر، قد انتزع منها بناتِها، فبكت جُويرِيةٌ منهنّ حُديباء قد أخذتها الفَرْصة[1] ، عليها سُبَيِّج[2] من صُوف ، فذهبت بها . فبينما هما تَرْتَكان الجمل[3] إذ انتفجت[4] منه الأرنب . فقالت الحُديباء : الفَصْيَة[5] ، والله لا يزال كعبك أعلى من كعب أثوب . ثم سنحَ الثعلب ، فسمّته اسماً نسِيه ناقلُ الحديث . ثم قالت فيه ، مثل ما قالت في الأرنب . فبينا هما تَرْتَكان الجملَ إذ بَرَكَ الجملُ وأخذته رِعدة. فقالت الحُديباء : أخذتك ، والأمانةِ ، إخْذةَ أثوب .

---

١ الفرصة : ريح الحدب فيصير صاحبها احدب .
٢ السبيج ، تصغير سبيج : ثوب صوف اسود .
٣ ترتكان الجمل : تحملانه على السير السريع .
٤ انتفجت : وثبت .
٥ الفصية : التخلص من الضيق والبلية .

قالت قَيلة : فقلت لها : فما أصنع ؟ وَيحك !

قالت : قَلّبي ثيابك ظهورها لبُطُونها ، وادّحرجي ظهرك لبَطنك ، واقلبي أحلاس[1] جَملك .

ثم خلعت سُبَيِّجها فقلبته ، ثم ادّحرجت ظهرَها لبطنها ، فلمّا فعلتُ ما أمرَتني به انتفض الجمل ، ثم قام فنأج[2] وبال . فقالت : أعيدي عليه أداتك .

ففعلتُ ، ثم خرجنا نُوَتك ، فإذا أثوبُ يسعى وراءنا بالسَّيف صَلْتاً[3] ، فوألنا الى حِواء[4] ضخم فداراه ، حتى ألقى الجملُ الى رُواقه الأوسط ، وكان جملاً ذلولاً ، واقتحمتُ داخله ، وأدركني بالسيف فأصابت ظُبَتُه طائفةً من قرون رأسَيه ، ثم قال : ألقي إليّ ابنة أخي يا دفار[5] .

فألقيتُها اليه ، فجعلها على مِنكبيه وذهب بها ، وكنت أعلم به من أهل البيت . وخرجتُ الى أخت لي ناكح في بني شيبان أبتغي الصحبة الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم؛ فبينما

---

١ الاحلاس ، واحدها حلس : الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب .
٢ نأج : صاح .
٣ صلتاً : مجرداً .
٤ وألنا : لجأنا . الحواء : البيوت المجتمعة من الوبر .
٥ يا دفار : يا منتنة .

أنا عندها تحسَب أنني نائمة ، إذ جاء زوجها من السّامر[1] ، فقال لها : وأبيك ، لقد وجدتُ لقَيْلة صاحبَ صِدقٍ .

قالت أختي : من هو ؟

قال : حُريث بن حسّان الشيباني ، وافد بكر بن وائل ذا صباح .

فقالت أختي : لا تخبرها ، فتتبع أخا بكر بن وائل بين سَمْع الأرض وبَصرها ، ليس معها أحدٌ من قومها .

قالت: وسمعتُ ما قالا ، فغدوتُ الى جَملي فشددتُ عليه، ثم نشدتُ عنه فوجدته غيرَ بعيد، فسألته الصُّحبة؛ فقال : نعم وكرامة ، وركابه مُناخة. قالت : فسِرت معه صاحبَ صِدْق، حتى قدِمنا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي بالناس صلاة الغداة ، قد أقيمت حين شقّ الفجر ، والنجوم شابكة[2] في السّماء؛ والرجال لا تكاد تَعارفُ من ظُلمة الليل، فصَفَفْتُ مع الرجال ، وأنا امرأةٌ قريبةُ عهد بجاهليّة . فقال الرجل الذي يَليني من الصفّ : امرأة أنت أم رجل ؟

فقلت : لا بل امرأة .

---

١ السامر : القوم الذين يسمرون بالليل .

٢ شابكة : اي ظهرت جميعها واختلط بعضها ببعض حتى كانت كأنها مشتبك بعضها ببعض .

فقال : إنك كِدت تَفتنيني، فصلّي في النساء وراءك .

فإذا صَفّ من نساء قد حدث عند الحُجرات لم أكن رأيته إذ دخلتُ فكنتُ فيهنّ ، حتى إذا طلعت الشمس دنوتُ ، فجعلتُ إذا رأيتُ رجلاً ذا رُواء وقِشْر[1] طمح اليه بصري لأرى رسولَ الله فوق الناس ، حتى جاء رجلٌ، فقال : السلام عليك يا رسول الله .

فقال : وعليك السلام ورحمة الله ؛ وعليه ، تعني النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، أسمالُ مُلَيّتين كانتا بزَعفران قد نفَضَتا[2]، ومعه عُسَيّب نَخلة مَقْشوّ[3] غير خوصتين من أعلاه، وهو قاعد القُرفصاء ، فلما رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، مُتخشّعاً في الجِلسة أُرْعِدت من الفَرَق ؛ فقال جليسُه: يا رسول الله ، أرعدت المسكينة .

فقال رسول الله، ولم ينظر إليّ وأنا عند ظَهره : يا مسكينة عليك السَّكينة .

قالت : فلما قالها ، صلى الله عليه وسلم ، أذهب الله ما كان دخل في قلبي من الرُّعب، وتقدّم صاحبي أولَ رجل فبايعه على

---

١ القشر : الثوب .

٢ نفضتا : نصل لون صبغهما ولم يبق الا الاثر .

٣ مقشو : مقشور .

الاسلام ، عَليْه وعلى قومه ، ثم قال : يا رسولَ الله ، اكتب بيننا وبين تَميم كتاباً بالدَّهْناء لا يُجاوزها الينا منهم إلا مُسافر أو مجاوز .

قال : يا غلام ، اكتب له بالدَّهناء .

قالت: فلما رأيتُه أمر بأن يُكتَب له، شُخِص بي[1]، وهي وطني وداري ، فقلت : يا رسول الله، إنه لم يسألك السويّة من الأرض إذ سألك ، إنما هذه الدهناء مقيَّد الجمل[2] ومَرْعى الغنم ، ونساءُ بني تميم وأبناؤها وراء ذلك .

فقال : أمسِك يا غلام ، صدقت المِسْكينة ، المُسْلم أخو المسلم ، يَسَعهما الماء والشجر ، ويتعاونان على الفُتّان[3] .

فلما رأى حُريث أن قد حِيل دون كتابه ، قال : كنت أنا وأنتِ كما قال في المَثل : حَتْفَها تحمل ضأنٌ بأظلافها .

فقلت : أما والله إن كنت لدليلا في الظّلماء، جواداً لدى الرَّحل ، عفيفاً عن الرَّفيقة ، ولكن لا تَلُمْني أن أسأل حظي إذ سألتَ حظّك .

---

١ شخص بي : اي قلقت .

٢ مقيد الجمل : اي مخصبة .

٣ الفتان : قال ابن الاثير في النهاية : يروى بضم الفاء وفتحها، فالضم جمع فاتن ، اي يعاون احدهما الآخر على الذين يضلون الناس عن الحق ويفتنونهم. وبالفتح هو الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين .

قال : وأي حظ لك في الدهناء لا أبا لك ؟

قلت : مُقيّد جَملي تريده لجمل امرأتك .

فقال: لا جَرَم، إني أشهد رسول الله أني لك أخ ما حييتُ إذ أثنيتِ عليّ عنده .

فقلت : إذ بدأتها فلن أضيّعها .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: أيُلام ابن هذه أن يَفصل الخُطّة[1] ، وينتصر من وراء الحجَزة[2] ؟

قلت : فقد والله ولدتُه يا رسول الله حراماً ، فقاتل معك يوم الرّبذة[3]، ثم ذهب يَمتري من خَيبر، فأصابته حُمّاها ومات.

فقال : لو لم تكوني مسكينة لجررناك على وجهك . أيُغلب أحَيدكم على أن يصاحب صُويحبه في الدنيا معروفاً ، فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به استرجع ثم قال : رَبّ آسِني[4] لما أمضيت ، وأعنّي على ما أبقيت . فوالذي نفسُ محمد بيده إنّ

---

١ الخطة : الحال والأمر والخطب .

٢ الحجزة : هم الذين يمنعون بعض الناس عن بعض ويفصلون بينهم بالحـــق ، الواحد : حاجز .

٣ الربذة : من قرى المدينة .

٤ آسني : اجعل لي أسوة بما تعظني به .

أحدكم ليبكي فيَستَعْبِر[1] له صُويحبه ، فيا عباد الله ، لا تُعذّبوا إخوانكم .

ثم كتب لها في قِطعة أدم أحمر : لقَيْلة والنّسوة من بنات قيلة أن لا يُظلَمن حقاً ، ولا يُكرهن على منكح ، وكل مؤمن ومُسلم لهن نَصير ، أحْسِنّ ولا تُسئْن .

١ يستعبر : يبكي .

كتاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة

من محمد رسول الله لأكَيْدِر دُومة[1] حين أجاب الى الإسلام، وخَلَعَ الأنداد[2] والأصنام، مع خالد بن الوليد سيف الله في دُومة الجندل وأكنافها : إن لنا الضاحية من الضَّحل والبَوْرَ والمَعاميَ وأغفالَ الأرض والحَلْقة[3] ، والسلاحَ والحافر[4] والحِصْنَ[5] ؛ ولكم الضَّامنة[6] من النخل والمعينُ من المعْمور ، ولا تُعْدَل سارحتُكم[7] ولا تُعدّ فاردتُكم[8] ، ولا يُحظر عليكم النبات ، تُقيمون الصلاة لوَقْتها ، وتُؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق .

---

١ دومة : هي دومة الجندل من أعمال المدينة .

٢ الأنداد ، واحدها ند : صنو الشيء الذي يخالفه في اموره .

٣ الضاحي : البارز الظاهر من الأرض . الضحل : الماء القليل. البور : الأرض التي لم تزرع . المعامي : الارض المجهولة . أغفال الارض : ما لا أثر فيه من عمارة او نحوها . الحلقة : الدروع .

٤ الحافر : اي ذوات الحافر .

٥ الحصن : دومة الجندل .

٦ الضامنة : النخل الذي معهم في الحصن .

٧ لا تعدل سارحتكم : لا تصرف ماشيتكم وتمال عن المرعى .

٨ الفاردة : ما لا تجب فيه الصدقة .

كتابه صلى الله عليه وسلم

لوائل بن حجر الحضرمي

من محمد رسول الله إلى الأقيال العَباهلة[1] من أهل حضرموت ، بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، في التَّيعة[2] شاة ، لا مُقوَرَّة[3] الألياط[4] ولا ضِناك[5] ، وأنطوا الثَّبَجَة[6] ، والتيمة[7] لصاحبها ، وفي السُّيوب[8] الخُمس ، لا خِلاط[9] ولا وِراط[10] ، ولا شِناق[11] ، ولا شِغار[12] ، ومن أجْبى[13] فقد أربى[14] ، وكل مُسكر حرام .

---

١ الاقيال العباهلة : الملوك القار ملكهم .

٢ التيعة : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان .

٣ مقورة : مسترخية الجلود .

٤ الالياط ، واحدها ليط : العود ، استعاره للجلد لالتزاقه باللحم .

٥ الضناك : الكثيرة اللحم.

٦ الثبجة : الوسط .

٧ التيمة : الشاة الزائدة على الاربعين حتى تبلغ الفريضة الاخرى .

٨ السيوب ، واحدها السيب : يريد المال المدفون في الجاهلية او المعدن .

٩ الخلاط : المخالطة .

١٠ الوراط : ان تجعل الغنم في وهدة من الأرض لتخفى عن جامع الصدقات .

١١ الشناق : خلط الرجل غنمه او ابله بما لغيره .

١٢ الشغار : زواج كان في الجاهلية ، وهو ان يتبادل اثنان باختيهما او ابنتيهما فيتزوج كل واحد اخت الآخر او ابنته .

١٣ اجبى : باع الزرع قبل اوانه .

١٤ اربى : اخذ ربا .

حديث جرير بن عبد الله البجلي

قدم جرير بن عبد الله البَجَليّ على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فسأله عن منزله بِبِيشة[1]، فقال: سَهْل ودَكْداك[2]، وسَلَم وأراك[3]، وحَمْض وعَلاك[4]، الى نخلة ونخلة، ماؤها ينبوع، وجنابها مَريع، وشتاؤها رَبيع.

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إن خير الماء الشَّبِم[5]، وخير المال الغَنَم، وخير المرعى الأراك، والسَّلَم إذا أخلف[6] كان لَجِيناً[7]، وإذا سقط كان دَرِيناً[8]، وإذا أكل كان لَبِيناً[9].

وفي كلامه، عليه السلام: إنّ الله خلق الأرض السُّفلى من الزَّبَد الجُفاء[10]، والماء الكُباء[11].

---

١ بيشة: قرية من بلاد اليمن.

٢ الدكداك: ما تلبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع كثيراً.

٣ السلم: شجر من العضاه. الأراك: شجر له حمل كعناقيد العنب.

٤ الحمض: كل نبت في طعمه حموضة. العلاك: شجر ينبت بناحية الحجاز.

٥ الشبم: البارد.

٦ أخلف: اخرج الخلفة، وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصيف.

٧ اللجين: الخبط، وذلك أن ورق السلم والاراك يخبط حتى يسقط.

٨ الدرين: حطام المرعى اذا تناثر وسقط على الارض.

٩ لبيناً: مدراً للبن الابل مكثراً له.

١٠ الجفاء: الغليظ، الكثيف.

١١ الكباء: اي العالي العظيم.

حديث عياش بن أبي ربيعة

بعث رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، عيّاش بن أبي ربيعة الى بني عبد كُلال ، وقال له : خُذ كتابي بيمينك وادفعه بيمينك في أيمانهم ، فهم قائلون لك اقرأ ، فاقرأ : « لَمْ يَكُنِ الذينَ كَفَروا مِنْ أهْلِ الكِتابِ والمُشْرِكينَ مُنْفَكّينَ . » فإذا فرغت منها فقل : آمن محمد وأنا أول المؤمنين ، فلن تأتيك حجّة إلا وقد دُحِضت ، ولا كتاب زُخرف إلا وذهب نوره ومَحّ لونه[1] ، وهم قارئون ، فإذا رَطنوا فقد ترجموا ، فقُل : حَسن ، آمنت بالله وبما أنزل من كتاب الله ؛ فإذا أسلموا ، فسَلْهم قُضُبَهم الثلاثة التي إذا تَخصَّروا بها[2] سُجد لهم : وهي الأثْل[3] ، قضيب مُلمَّع ببياض ، وقضيب ذو عُجَر[4] كأنه من خَيزُران ، والأسود البَهيم كأنه من ساسَم[5] ، اخرُج بها فحرِّقها في سُوقهم .

---

١ مح لونه : درس .
٢ تخصروا بها : أمسكوها بأيديهم .
٣ الاثل : شجر شبيه بالطرفاء .
٤ العجر : العقد ، الواحدة عجرة .
٥ الساسم : شجر اسود ، او هو الابنوس .

حديث راشد بن عبد ربه السلمي

عبد الله بن الحَكَم الواسطيّ عن بعض أشياخ أهل الشام قال قال :

استعمل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أبا سُفيان ابن حرب على نَجْران ، فولاه الصلاةَ والحرب ، ووجّه راشد بن عبد ربّه أميراً على القضاء والمظالم . فقال راشد بن عبد ربّه :

صَحا القلبُ عن سَلْمى، وأقْصَرَ شأوُه،
وردّت عليه ، ما نفَتْه ، تُماضِرُ[1]

وحَكّمه شيبُ القَذال عن الصّبا ؛
ولَلشّيبُ عن بعض الغَواية زاجِرُ[2]

فأقْصَرَ جَهْلي اليومَ ، وارتدّ باطِلي
عن الجهل ، لمّا ابيضّ منّي الغَدائِرُ

---

١ اقصر : انتهى . الشأو : المدى والغاية . نفته : انكرته ، ازالته .
٢ القذال : جماع مؤخر الرأس .

على أنّه قد هاجَه ، بَعدَ صَحْوة ،
بعرض ذي الآجام ، عِيسٌ بَواكر[1]

ولمّا دَنَتْ من جانب الغُوط أخصبت ،
وحَلّت ولاقاها سُلَيم وعامر

وخبّرها الرُّكبان أنْ ليس ، بينها
وبين قُرى بُصرى ونَجران ، كافر[2]

فألقت عَصاها واستقرّت بها النّوى ،
كما قَرّ عَيناً ، بالإياب ، المُسافر[3]

١ الآجام ، واحدتها اجمة : الشجر الكثير الملتف . وذو الآجام : مكان .
العيس : الجمال .
٢ بصرى : مدينة في حوران . نجران : موضع بحوران ايضاً .
٣ هذا البيت للمعقر بن اوس ضمنه الشاعر اياته هذه .

وفود نابغة بني جعدة على النبي

صلى الله عليه وسلم

وفد أبو ليلى نابغةُ بني جَعدة على النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فأنشده شعره الذي يقول فيه :

بَلغنا السماءَ مجـدُنا وسَناؤنا،
وإنا لنَبغي ، فوق ذلك ، مَظْهَرا

قال له النبي ، صلى الله عليه وسلم : إلى أين أبا ليلى ؟ قال: الى الجنة ؛ قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله . فلما انتهى الى قوله :

ولا خيرَ في حِلْمٍ ، إذا لم تَكُن له
بوادر تَحمي صَفوه أن يُكدَّرا

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : لا يفْضُض الله فـاك ؛ فعاش مائة وثلاثين سنـة لم تنفضّ له سِنّ . وبقي حتى وفـد على عبـد الله بن الزُّبير في أيامه بمكـة وامتدحه ؛ فقـال له : يا أبا ليلى ، إنّ أدنى وسائلك عندنا الشّعر ، لـك في مال الله

حقّان : حق رؤيتك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحقّ بِشرِكَ أهلَ الإسلام في فَيْئهم[1]. ثم أحسن صِلَتَه وأجازه .

[1] الفيء : ما يفيء اي يعود من الغنيمة على المسلمين .

وفود طهفة بن أبي زهير النهدي

على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قدمت وفود العرب على النبي، صلى الله عليه وسلم، قام طِهْفَة بن أبي زُهير، فقال: يا رسولَ الله، أتيناك من غَوْرَي تِهامة بأكوار المَيْس[1]، ترمي بنا العِيس، نَستحلب الصَّبير[2]، ونستخلب الخبير[3]، ونَستَعْضد البَرير[4]، ونَستخيل الرِّهام[5]، ونستجيل الجَهام[6]؛ من أرض غائلة النِّطاء[7]، غليظة الوطاء[8]؛ قد نشِفَ المُدْهُن[9]، ويبس الجِعْثِن[10]؛ ومات العُسْلوج[11]؛

---

١ الاكوار، واحدها كور: الرحل. الميس: شجر صلب.

٢ نستحلب: نستدر. الصبير: السحاب الابيض المتكاثف.

٣ نستخلب: نحتش بالمخلب اي المنجل. الخبير: العشب.

٤ نستعضد: نقطع. البرير: ثمر الاراك.

٥ نستخيل: نتخيل الماء في السحاب. الرهام، واحدتها رهمة: المطر الضعيف.

٦ نستجيل: نراه جائلا. الجهام: السحاب لا ماء فيه.

٧ غائلة: مهلكة. النطاء: البعد.

٨ الوطاء: ما يفترش للنوم.

٩ المدهن: ما حفره السيل.

١٠ الجعثن: أصل النبات.

١١ العسلوج: الغصن اذا يبس وذهبت طراوته.

وسَقط الأمْلوج[1] ؛ وهلك الهَـدِيّ[2] ، ومـات الوديّ[3] . بَرِئْنا يا رسول الله من الوثن والعَنَن[4] ، وما يُحدِث الزمن ؛ لنا دعوة السّلام، وشريعة الاسلام؛ ما طمى البحر وقام تِعار[5] ؛ ولنا نَعَم هُمّل أغفال ، ما تَبِضُّ ببـلال[6] ، ووقِير كثير الرِّسْل[7] قليل الرِّسْل[8]؛ أصابتها سُنيّة حمراء[9] ، مؤزِلة[10] ليس بها عَلَل ولا نَهَل .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك لهم في مَحْضِها ومَخْضِها ومَذْقِها[11] ، وابعث راعيها في الدَّثْر[12] ، بيانع الثَّمَر ؛ وافجُر له الثَّمَد[13] ، وبارك له في المال والولد ؛ من

---

١ الاملوج : ورق شجر يشبه الطرفاء والسرو .
٢ الهدي : ما يهدى للبيت الحرام من النعم لينحر .
٣ الودي : فسيل النخل .
٤ العنن : الاعتراض . يريد الشرك .
٥ تعار : جبل ببلاد قيس .
٦ ما تبض ببلال : ما يقطر منها لبن .
٧ الوقير : القطيع من الغنم . الرسل : التفرق .
٨ الرسل : اللبن .
٩ سنية حمراء : سنة مجدبة .
١٠ مؤزلة : شديدة مجدبة .
١١ المحض: خالص اللبن. المخض: ما مخض من اللبن واخذ زبده مخيضاً. المذق: اللبن الممزوج بالماء .
١٢ الدثر : المال الكثير .
١٣ الثمد : الماء القليل لا مادة له .

أقام الصلاة كان مُسلماً ، ومن آتى الزكاة كان مُحسناً ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مُخلصاً . لكم يا بني نَهد ، ودائع الشرك[1] ، ووضائع المِلْك[2] ؛ لا تُلطِط[3] في الزكاة، ولا تُلحد في الحياة ، ولا تَثاقلْ عن الصلاة .

وكتب معه كتاباً الى بني نَهْد :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى بني نَهْد بن زيد: السلام على من آمن بالله ورسوله ، لكم يا بني نَهْد في الوظيفة الفَريضة[4] ، ولكم الفارض والفَريش[5]، وذو العِنان الرَّكوب[6]، والفِلْو الضبيس[7]، لا يُمنع سَرحكم[8] ، ولا يُعضَد طَلحكم[9] ، ولا يُحبس دَرّكم ،

---

١ ودائع الشرك : ما استودعوه من اموال من لم يدخلوا في الاسلام .
٢ الوضائع ، واحدتها وضيعة : ما يوظف على الملك من صدقة وزكاة .
٣ لا تلطط : لا تمنع .
٤ الوظيفة : النصاب في الزكاة . الفريضة : الهرمة المسنة . اي لا تأخذ في الصدقات هذا الصنف كما لا تأخذ خيار المال .
٥ الفارض : المريضة . الفريش من الابل : الحديثة العهد بالنتاج .
٦ الركوب : الفرس المذلل للركوب .
٧ الفلو : المهر . الضبيس : الصعب العسر الركوب .
٨ السرح : ما سرح من المواشي .
٩ يعضد طلحكم : يقطع شجركم .

ما لم تُضْمِروا الإمَاق[1] ، وتأكلوا الرِّباق[2] ، من أقرَّ بما في هذا الكتاب ، فله من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الوفاء بالعهد والذمّة ، ومن أبى عليه فعليه الرِّبوة[3] .

١ الاماق : الغيظ والبكاء مما يلزمهم من الصدقة .
٢ تأكلوا الرباق : كناية عن نقض العهد. الرباق: الحبال يجعل فيها عرى وتشد بها البهيمة .
٣ الربوة : اراد بها زيادة الفريضة عقوبة له .

وفود جبلة بن الايهم

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

العجليّ قال : حدثني أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عمرو بن الأجدع الكوفي بهيت[1] قال : حدّثني ابراهيم بن عليّ مولى بني هاشم ، قال : حدثنا ثِقات شيوخنا : أن جَبلة بن الأيهم بن أبي شَمِر الغسّاني لما أراد أن يُسلم كَتب الى عمرَ بنِ الخطاب من الشام يُعلمه بذلك ويَستأذنه في القدوم عليه، فسُرّ بذلك عمرُ والمسلمون، فكتب اليه أن أقدِم ولك ما لنا وعليك ما علينا.

فخرج جَبلة في خمسمائة فارس من عَكّ وجَفْنة، فلما دنا من المدينة ألبَسهم ثيابَ الوَشْي المنسوج بالذهب والفِضّة ، ولبس يومئذ جَبلةُ تاجه وفيه قُرط مارية ، وهي جَدّته ، فلم يبقَ يومئذ أحدٌ إلا خرج ينظر اليه حتى النّساءُ والصبيان ، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه ، حتى حضر الموسمَ من عامِه ذلك مع عُمرَ بن الخطاب .

فبينا هو يطوف بالبيت إذ وَطِىء على إزاره رجلٌ من بني

---

١ هيت : بلدة على الفرات .

فَزارة فحلّه ، فالتفت اليه جبلة مُغْضَباً ، فلطمه فهشم أنفه ، فاستعدى عليه الفزاريّ عمرَ بنَ الخطاب ، فبعث اليه فقال : ما دعاكَ يا جبلة الى أن لطَمتَ أخاكَ هذا الفزاريّ فهشمتَ أنفه؟

فقال : إنه وطىء إزاري فحلّه ، ولولا حُرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عَيناه[1] .

فقال له عمر : أمّا أنت فقد أقررت ، إما أن تُرضيه وإلا أقدتُه منك .

قال : أتُقيده منّي وأنا مَلِك وهو سُوقة ؟

قال : يا جبلة ، إنه قد جمعك وإيّاه الاسلام ، فما تَفضُله بشيء إلا بالعافية .

قال : والله لقد رجوتُ أن أكون في الاسلام أعزَّ منّي في الجاهليّة .

قال عمر : دَعْ عنك ذلك .

قال : إذن أتنصّر .

قال : إن تنصّرتَ ضربتُ عُنقَك .

قال : واجتمع قومُ جَبلة وبنو فزارة فكادت تكون فِتنة ؛ فقال جبلة : أخِّرْني الى غَدٍ يا أمير المؤمنين .

---

[1] اي لاخذت رأسه .

قال : ذلك لك .

فلما كان جُنح الليل خرج هو وأصحابُه فلم يَأنِ حتى دخل القُسطنطينية على هِرَقْل فتنصّر ، وأقام عنده .

وأعظم هرقلُ قدومَ جبلة وسُرّ بذلك ، وأقطعه الأموال والأرَضين والرّباع .

فلما بعث عمر بن الخطاب رسولاً الى هِرَقْـــل يدعوه الى الاسلام أجابه الى المصالحة على غير الاسلام ، فلما أراد أن يكتب جواب عمر ، قال للرسول : ألقيت ابنَ عمّك هذا الذي ببلدنا – يعني جَبلة – الذي أتانا راغباً في ديننا ؟

قال : ما لقيتُه .

قال : القَه ، ثم ائتني أعطِك جوابَ كتابك .

وذهب الرسولُ الى باب جَبلة ، فإذا عليه من القهارمة والحُجّاب والبَهْجة وكثرة الجمْع مثلُ ما على باب هِرَقـل . قال الرسول : فلم أزل أتلطّف في الاذن ، حتى أُذن لي ، فدخلتُ عليه ، فرأيت رجلاً أصهبَ اللّحية ذا سِبال[1] ، وكان عَهْدي به أسمرَ أسودَ اللحية والرأس ، فنظرتُ اليه فأنكرتُه ، فإذا هو قد دعا بسُحالة الذهب[2] فذرّها في لحيته حتى عاد

---

١ السبال ، واحدتها سبلة : ما على الشارب من الشعر .

٢ سحالة الذهب : ما سقط منه اذا برد .

أصهبَ ، وهو قاعد على سرير من قوارير[1] ، قوائمه أربعة أسود من ذهب ، فلما عرفني رفعني معه في السرير ، فجعل يُسائلني عن المُسلمين ، فذكرت خيراً وقلت : قد أضعفوا أضعافاً على ما تعرف .

فقال : كيف تركت عمرَ بن الخطّاب ؟

قلت : بخير .

فرأيت الغمَّ قد تبيّن فيه ، لما ذكرتُ له من سلامة عمر.

قال : فانحدرت عن السّرير؛ فقال : لِمَ تأبى الكرامة التي أكرمناك بها ؟

قلت : إنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، نهى عن هذا.

قال : نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقِّ قلبك من الدَّنس ، ولا تُبالِ علامَ قعدتَ .

فلما سمعته يقول : صلى الله عليه وسلم ، طَمِعتُ فيه ؛ فقلت له: ويحك يا جبلة! ألا تُسلم وقد عرفتَ الاسلام وفضله؟

قال : أبَعْدَ ما كان منّي؟

قلت : نعم ، قد فعل رجلٌ من بني فزارة أكثر مما فعلت ، ارتدّ عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف . ثم رجع

---

١ قوارير ، واحدتها قارورة : اناء من زجاج يجعل فيه الشراب .

الى الاسلام ، وقُبل ذلك منه ، وخلّفته بالمدينة مُسلماً .

قال: دَرْني من هذا، إن كنت تَضمَن لي أن يزوّجني عمر ابنتَه ويولّيني الأمر بعده رجعتُ الى الاسلام .

قال : ضمنت لك التزويج ، ولم أضمن لك الإمرة .

قال : فأومأ الى خادم بين يديه ، فذهب مُسْرعاً ، فإذا خَدَم قد جاؤوا يحملون الصناديق فيها الطعام، فوُضعت ونُصبت موائد الذهب وصِحاف الفضّة ، وقال لي : كُلْ .

فقبضت يدي ، وقلت : إنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نهى عن الأكل في آنية الذّهب والفِضّة .

فقال: نعم ، صلى الله عليه وسلم، ولكن نَقّ قلبك وكُلْ فيما أحببت .

قال : فأكل في الذهب والفضة وأكلتُ في الخَليج[1] ، فلما رُفع الطعام جيء بطِساس[2] الفضّة وأباريق الذهب، وأومأ الى خادم بين يديه ، فمرّ مُسرعاً ، فسمِعت حِسّاً ، فالتفتُّ ، فإذا خَدَمٌ معهنّ الكراسي مُرصّعة بالجواهر ، فوُضعتْ عشرة عن يمينه وعشرةٌ عن يساره ، ثم سمعت حِسّاً ، فإذا عشر

---

١ الخليج : الجفنة .

٢ الطساس ، واحدها طس : وهو الطست .

جوارٍ قد أقبلنَ مَطْمومات الشعر[1] مُتكسّرات في الحلْي عليهنّ ثياب الدّيباج ، فلم أرَ وجوهاً قطّ أحسنَ منهنّ ، فأقعدهنّ على الكراسيّ عن يمينه ، ثم سمعتُ حسّاً ، فإذا عشر جوارٍ أُخرى ، فأجلسهنّ على الكراسي عن يساره .

ثم سمعت حسّاً ، فإذا جارية كأنها الشمس حُسناً وعلى رأسها تاج ، وعلى ذلك التاج طائر لم أرَ أحسنَ منه ، وفي يدها اليُمنى جام[2] فيه مِسْك وعَنْبر ، وفي يدها اليسرى جام فيه ماء ورد ، فأومأتْ الى الطائر ، أو قال فصَفّرت بالطائر ، فوقع في جام ماء الوَرْد فاضطرب فيه ، ثم أومأت اليه ، أو قال فصَفّرت به ، فطار حتى نزل على صَليب في تاج جبلة ، فلم يزل يرفرف حتى نَفَض ما في ريشه عليه ، وضحِك جبلة من شدّة السرور حتى بدتْ أنيابه .

ثم التفت الى الجواري اللواتي عن يمينه ، فقال : بالله أطربْنني . فاندفعن يتغنّين يخفقن بعيدانهن ويقُلْن :

لله دَرُّ عِصابةٍ نادمتُهم
يوماً بجِلّق ، في الزمان الأوّلِ[3]

---

١ مطمومات الشعر : مجزوزات .
٢ الجام : اناء من فضة .
٣ جلق : دمشق وغوطتها .

يَسقُون مَن وَرَدَ البريصَ عليهمُ
بَرَدى ، يُصفَّق بالرّحيق السَّلسَلِ[1]

أولاد جَفْنَة حولَ قبرِ أبيهمُ ،
قبرِ ابن ماريةَ الكريم ، المُفْضِلِ

يُغشَون ، حتى ما تَهرُّ كِلابُهم ،
لا يَسألون عن السَّواد المُقبِلِ[2]

بيضِ الوُجوه ، كريمةٍ أحسابُهم ،
شُمِّ الأنوف ، من الطِّراز الأوّلِ

قال : فضَحِك حتى بَدَت نواجذُه[3] ، ثم قال : أتدري من قائل هذا ؟

قلتُ : لا .

قال : قائلُه حسّان بن ثابت شاعرُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ثم التفت الى الجواري اللاتي عن يساره ، فقال : بالله أبكيننا !

---

١ البريص وبردى : نهران في دمشق . الرحيق : الخمر . السلسل : اللين .
٢ يمدحهم بالكرم .
٣ نواجذه ، واحدها ناجذ : وهي اقصى الاضراس ، وعددها اربعة .

فاندفعنَ يتغنّين يخفقن بعيدانهنّ ويقلن :

لمن الدارُ أقفرتْ بمعانِ ، بين أعلى اليرموك فالخمّان[1]

ذاك مغنًى لآل جفنة ،في الدهـ ـر ، محلاً لحادث الأزمان

قد أراني هناك دهراً مكيناً ، عند ذي التاج مقعدي ومكاني

ودنا الفِصحُ ، فالولائد ينظمـ ـن ، سراعاً ، أكلّة المرجان

لم يُعلّلن بالمغافير والصّمـ ـغ ،ولا نقفِ حنظلِ الشريان[2]

قال: فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على لحيته، ثم قال: أتدري من قائل هذا ؟

قلتُ : لا أدري .

قال : حسّان بن ثابت . ثم أنشأ يقول :

تنصّرتِ الأشرافُ من عار لطمة،
وما كان فيها ، لو صبرت لها ، ضررْ

تكنّفني منها لجاجٌ ونخوة،
وبعتُ لها العينَ الصحيحة بالعور

---

١ معان : مدينة في مملكة الشرق العربي . اليرموك : واد في فلسطين . الخمان: موضع من نواحي الشام .

٢ المغافير : صمغ ينضح بالماء ويشرب . الشريان: شجر من العضاه .

فيا لَيتَ أُمّي لم تَلِدْني ، وليتَني
رجَعتُ الى الأمر الذي قال لي عُمر

ويا لَيتَني أرعى المَخاضَ بقَفرة ،
وكنتُ أسيراً في رَبيعة أو مُضر

ويا ليتَ لي بالشام أدنى معيشةٍ ،
أجالس قومي، ذاهبَ السَّمْع والبَصر

ثم سألني عن حسّان : أحيٌّ هو ؟

قلت : نعم ، تركته حيّاً .

فأمر لي بكُسوة ومال، ونوق مُوقرة بُرّاً ، ثم قال لي : إنْ وجدته حيّاً ، فادفع اليه الهديّة وأقرِئه سلامي ، وإنْ وجدته ميتاً فادفعها الى أهله ، وانحر الجِمال على قَبره .

فلمّا قدمت على عُمر أخبرتُه خبر جَبلة وما دعوتُه اليه من الإسلام، والشّرط الذي شرطه، وأني ضَمنت له التّزويج، ولم أضمن له الإمرة . فقال : هلاّ ضمنت له الإمرة؟ فإذا أفاءه اللهُ به الى الاسلام قضى عليه بحُكمه ، عزّ وجل .

ثم ذكرت له الهدية التي أهداها الى حسان بن ثابت . فبعث اليه ، وقد كُفّ بصره ؛ فأتي به وقائدٌ يقوده ، فلما دخل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إني لأجد رياح آل جَفْنة عندك .

قال : نعم ، هذا رجل أقبل من عنده .

قال : هاتِ يابن أخي ، إنه كريم من كرام مدحتُهم في الجاهلية فَحَلف أن لا يلقى أحداً يعرفني إلاّ أهدى اليّ معه شيئاً .

فدفعت اليه الهديّة : المالَ والثيابَ ، وأخبرتُه بما كان أمر به في الابل إن وُجد ميتاً .

فقال : وَدِدْتُ أني كنت مَيتاً ، فنُحرت على قبري .

قال الزبير : وانصرف حسّان وهو يقول :

إنّ ابنَ جَفْنَة من بقيّة مَعْشرٍ،
لم يَغذُهم آباؤهم باللؤمِ

لم يَنْسني بالشام إذ هو ربُّها،
مَلِكاً ، ولا مُتنصّراً بالروم

يُعطي الجزيلَ ، ولا يَراه ، عنده،
إلاّ كَبعض عطيّة المذموم

فقال له رجلٌ كان في مجلس عُمر : أتذكر ملوكاً كَفَرة أبادهم الله وأفناهم ؟

قال : ممن الرجل ؟

قال : مُزَنيّ .

قال : أما والله لولا سوابق قومِك مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لطوقتك َطوقَ الحمامة .

قال : ثمَّ جهزني عمر الى قيصر وأمرني أن أضمن لجبلة ما اشترط به ، فلما قدِمت القُسطنطينية وجدتُ الناس ُمنصرفين من جِنازته ، فعلمت أن الشَّقاء غلب عليه في أم الكتاب .

وفود الاحنف على عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

المدائني قال : قدم الأحنفُ بن قيس التّميمي على عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلّموا عنده في أنفسهم وما ينوب كلّ واحد منهم ، وتكلم الأحنف فقال :

يا أمير المؤمنين ، إنّ مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزَلوا منازلَ الأمم الخالية ، والملوك الجبابرة ، ومنازل كسرى وقيصر ، وبني الأصفر ، فهم من المياه العذْبة ، والجِنان المُخْصِبة ، في مثل حَولاء السّلى وحدَقة البعير[1] تأتيهم ثمارُهم غضّة لم تتغير .

وإنا نزلنا أرضاً نشّاشة ، طَرَف في فلاة ، وطَرَف في مِلح أجاج ، جانبٌ منها منابت القصب ، وجانب سَبخة نشّاشة[2] ، لا

---

١ حولاء السلى ، وحدقة البعير : كناية عن الخصب .
٢ السبخة : ارض فيها نز وملح . نشاشة : نزازة .

يجفُّ ترابها ، ولا ينبت مرعاها، تأتينا منافعها في مثل مَريء[1] النعامة، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك تُرَنِّق ولدها ترنيق[2] العنز، تخاف عليه العدوّ والسبع، فإلاَّ ترفع خسيستنا ، وتُنعش ركيستنا[3]، وتَجبر فاقتنا ، وترد في عيالنا عيالاً ، وفي رجالنا رجالاً ، وتُصفّر درهمنا[4]، وتُكبّر قفيزنا[5]، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء ، هلكنا .

قال عمر: هذا والله السيّد! هذا والله السيّد! قال الأحنف: فما زلت أسمعها بعدها .

فأراد زيد بن جَبلة أن يضع منه، فقال : يا أمير المؤمنين، إنه ليس هُناك ، وأمه باهليّة . قال عمر : هو خير منك إن كان صادقاً . يريد إن كانت له نيّة .

فقال الأحنف :

أنا ابن الباهليّة ، أرضعتني بثديٍ لا أجدّ ولا وخيم[6]

---

١ المريء : مجرى الطعام من الحلقوم الى المعدة .
٢ الترنيق : ادامة النظر .
٣ الركيسة : الشيء قلب اوله على آخره .
٤ تصفره : اي تجعله ذهباً أصفر .
٥ القفيز : مكيال .
٦ الأجد : اليابس القليل اللبن .

أغُضّ على القذى أجفانَ عيني، إذا شرّ السّفيه الى الحَليم[1]

قال: فرجَع الوفد واحتُبس الأحنفَ عنده حولاً وأشهراً، ثم قال: إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حَذّرنا كل منافق صنع اللسان، وإني خِفْتك فاحتبستُك، فلم يبلُغني عنك إلا خيرٌ، رأيتُ لك جُولاً[2] ومَعْقولاً، فارجع الى منزلك واتّقِ الله ربّك.

وكتب الى أبي موسى الأشعري أن يحْتفر لهم نهراً.

---

١ شر: اتى منه الشر. وشره: عابه.
٢ الجول: الرأي.

وفود الاحنف وعمرو بن الاهتم

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

العتبي عن أبيه قال: وفد الأحنف وعمرو بن الأهتم على عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه، فأراد أن يقرع بينهما في الرّياسة، فلما اجتمعت بنو تميم، قال الأحنف:

ثَوى قَدَحٌ عن قَوْمه طالما ثوى،
فلما أتاهم قالَ قُومُوا تناجَزوا[1]

فقال عمرو بن الأهتم: إنّا كنّا وأنتم في دار جاهليّة فكان الفَضْل فيها لمن جَهِل، فسفكنا دماءكم، وسَبَيْنا نساءكم، وإنا اليوم في دار الإسلام، والفَضْلُ فيها لمن حَلِم، فغفر الله لنا ولك.

قال: فغلب يومئذ عمرو بن الأهتم على الأحنف ووقعت القُرْعة لآل الأهتم. فقال عمرو بن الأهتم:

لمّا دعَتني للرّياسة مِنقَر،
لدَى مَجْلس أضحى به النّجْمُ باديا

١ تناجز القوم: تسافكوا دماءهم.

شَدَدْتُ لها أزْري، وقد كُنتُ قبلَها،
لأمثالها مِمَّا أشُدُّ إزاريا

وعمرو بن الأهتم هو الذي تكلّم بين يدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وسأله عن الزّبرقان ؛ فقال عمرو : مُطاع في أدْنَيه ، شديد العارضة ، مانِع لما وراء ظهره .

فقال الزّبرقان : والله يا رسول الله ، إنّه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكن حَسدني .

قال : أما والله يا رسول الله ، إنه لزَمِر المُروءة[1] ، ضيِّق العَطن ، أحمق الولد، لئيم الخال، والله ما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقتُ في الأخرى ، رضيتُ عن ابن عمّي فقلتُ أحسن ما علمت، ولم أكذِب، وسَخِطتُ عليه فقلت أقبح ما علمت، ولم أكذب .

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحراً.

•

---

١ زمر المروءة : قليلها .

وفود عمرو بن معديكرب

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ اوفده سعد

لما فُتحت القادسيّة على يدي سعد بن أبي وقّاص ، أبلى فيها عمرو بن معديكرب بلاءً حسناً ، فأوفده سعدٌ على عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وكتب اليه معه بالفتحِ وأثنى في الكتاب على عمرو .

فلما قدِم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد ؛ فقال : أعرابي في نَمِرته[1] ، أسدٌ في تأمورته[2] ، نَبطيٌّ في جبايته[3] ، يقسم بالسويّة ، ويعْدل في القضيّة ، ويَنفِر في السّريّة[4] ، وينقل الينا حقّنا نقل الذرّة .

فقال عمر : لشدّ ما تقارضتما الثناء .

وكان عمر قد كتب الى سعدٍ يوم القادسية أن يُعطي الناس

---

١ النمرة : بردة من صوف تلبسها الاعراب .

٢ التأمورة : عرين الاسد .

٣ نبطي في جبايته : لعله اراد انه دقيق فيها .

٤ السرية : من خمسة انفس الى ثلاثمائة او اربعمائة .

على قدر ما معهم من القرآن . فقال سعد لعمرو بن معديكرب: ما معك من القرآن ؟

قال : ما معي شيء .

قال: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن .

فقال عمرو :

إذا قُتِلنا، ولا يَبكي لنا أحدٌ، قالت قريشٌ : ألا تِلك المقاديرُ
نُعطى السّويّة من طعنٍ له نَفَذ، ولا سويّة إذ نُعطى الدّنانير

قال : فكتب سعد بأبياته الى عمر. فكتب اليه أن يُعطى على مقاماته في الحرب .

وفود أهل اليمامة

على أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وفد أهلُ اليمامة على أبي بكر الصدّيق ، رضيَ الله عنه ، بعد إيقاع خالد بهم وقَتْله مُسيلمة الكذّاب ؛ فقال لهم أبو بكر : ما كان يقول صاحبُكم ؟

قالوا : أعفِنا يا خليفة رسول الله .

قال : لا بدّ أن تقولوا .

قالوا : كان يقول : يا ضِفْدع ، كم تَنقّين ، لا الشرابَ تمنعين ، ولا الماء تُكدّرين؛ لنا نِصْفُ الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم لا يَعْدِلون .

فقال لهم أبو بكر: ويحكم! ما خرج هذا من إلّ ولا بَرّ، فأين ذُهب بكم ؟

قال أبو عُبيد : الإلّ: الله تعالى. والبَرّ: الرجل الصالح.

وفود عمرو بن معديكرب

على مجاشع بن مسعود

وفَد عمرو بن معديكرب الزُّبيديّ على مُجاشع بن مسعود السُّلَمي – وكانت بين عمرو وبين سُليم حروبٌ في الجاهليّة – فقدم عليه البصرةَ يسأله الصِّلة ؛ فقال له : اذكر حاجتَك .

فقال له : حاجتي صِلةُ مِثلي .

فأعطاه عشرةَ آلاف دِرْهم ، وفرساً من بنات الغَبْراء ، وسَيفاً جُرازاً[1] ، ودِرعاً حَصينة ، وغُلاماً خبّازاً .

فلما خرج من عنده ، قال له أهل المجلس : كيف وجدت صاحبك ؟

قال : لله دَرُّ بني سُليم ، ما أشدَّ في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في اللأواء[2] عَطاءها ، وأثبَت في المكرُماتِ بناءها ، والله يا بني

---

١ الجراز : القاطع .
٢ اللأواء : الشدة .

سُليم لقد قاتلناكم في الجاهلية فما أجبنّاكم ، ولقد هاجيناكم فما أفحَمْناكم ، ولقد سألناكم فما أبخلناكم .

فلله مَسْؤولاً نَوالاً ونائــلاً،
وصاحبَ هَيْجٍ يومَ هَيْجٍ مُجاشعُ[1]

---

١ الهيج : الحرب .

وفود الحسن بن علي

رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه

أبو بكر بن أبي شَيبة قال :

وفد الحسن بن عليّ ، رضي الله عنهما ، على معاوية بعد عام الجماعة[1] ، فقال له معاوية : والله لأحبونّك بجائزة ما أجزت بها أحداً قبلك ، ولا أُجيز بها أحداً بعدك ؛ فأمر له بمائة ألف .

وفي بعض الحديث أن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، دخل على ابنته فاطمة ، فوجد الحسن طِفلاً يلعب بين يديها ، فقال لها : إن الله تعالى سيُصلح على يَدَي ابنك هذا بين فِئتين عظيمتين من المُسلمين .

---

١ يوم الجماعة : يوم تصالح معاوية والحسن بن علي بن أبي طالب .

وفود زيد بن منية

على معاوية رحمه الله

العتبي قال :

قدم زيد بن مُنية على معاوية من البَصرة – وهو أخو يَعْلى ابن مُنية صاحب جمل عائشة ومتولي تلك الحروب ، ورأس أهل البصرة ، وكان عُتبة بن أبي سفيان قد تزوج ابنة يَعْلى بن مُنْية – فلما دخل على معاوية شكا اليه دَيْناً لزمه ؛ فقال : يا كعب ، أعْطِه ثلاثين ألفاً . فلما ولى قال: وليوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى ؛ ثم قال له : الحَقْ بصهرك ، يعني عُتبة .

فقدم عليه مِصْرَ ، فقال : إني سِرت اليك شهرين أخوضُ فيهما المَتالف ، ألبس أرْدية الليل مَرّة ، وأخوضُ في لُجَج السَّراب أخرى ، مُوقراً من حُسن الظن بك ، وهارباً من دهرٍ قَطِمٍ[1] ، ودَيْن لزم ، بعد غِنىً جَدَعنا به أُنوف الحاسدين ، فلم أجِدْ إلا اليك مَهْرباً ، وعليك مُعوَّلاً .

---

١ قطم : صؤول .

فقال عُتبة : مَرْحباً بك وأهلاً ، إنّ الدهر أعاركم غِنى ، وخلطكم بنا . ثم استردَّ ما أمكنه أخذُه ، وقد أبقى لكم منّا ما لا ضَيْعة معه ، وأنا واضع يدي ويدك بيد الله .

فأعطاه ستين ألفاً ، كما أعطاه معاوية رحمه الله .

•

وفود عبد العزيز بن زرارة

على معاوية رحمه الله

العتبي عن أبيه قال :

وفدَ عبدُ العزيز بنُ زُرارة على معاوية وهو سيّد أهل الكوفة، فلما أُذِن له وقفَ بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين، لم أزل أهزّ ذوائبَ الرّحال اليك، إذ لم أجد مُعوّلاً إلا عليك؛ أمتطي الليل بعد النهار ، وأسِم المجاهلَ بالآثار ، يقودني اليك أمَل، وتسوقُني بَلوى ، والمجتهد يُعذر ، وإذ بلغتُك فقطْني[1].

فقال معاوية : احطُط عن راحلتك رَحْلها .

وخرج عبد العزيز بن زُرارة مع يزيدَ بن معاوية الى الصائفة[2] فهلك هناك ، فكتب به يزيدُ بن معاوية إلى معاوية ، فقال لزرارة : أتاني اليوم نعْي سيّد شباب العرب .

قال زُرارة : يا أمير المؤمنين ، هو ابني أو ابنك ؟

قال : بل ابنُك .

---

١ قطني : حسبي .

٢ الصائفة : الغزوة في الصيف .

قال : للموت ما تَلِد الوالدة .

أخذه سابقٌ البَرْبريّ فقال :

وللموت تَغْذو الوالداتُ سِخالها ،
كما لِخَرابِ الدّار تُبْنى المساكنُ[1]

وقال آخر :

لِلْموتِ يُولد منّا كلُّ مَوْلودِ ،
لا شيءَ يَبقى ولا يَفنى بمَوْجودِ

١ سخالها : أولادها ، الواحد سخلة ، للذكر والانثى .

وفود عبد الله بن جعفر

على يزيد بن معاوية

المدائني قال :

قدم عبدُ الله بنُ جعفر على يزيدَ بنِ مُعاوية ، فقال له : كم كان عطاؤكَ ؟ فقال له : ألف ألف ؛ قال: قد أضْعفناها لك ؛ قال: فِداك أبي وأُمّي، وما قلتُها لأحد قبلك؛ قال: أضعفناها لك ثانية .

فقيل ليزيد : أتُعْطي رجلا واحداً أربعةَ آلاف ألف ! فقال : ويحكم ! إنما أعطيتُها أهلَ المدينة أجمعين ، فما يدُه فيها إلا عارية .

فلما كان في السنة الثانية قدِم عبدُ الله بن جعفر ، وقدم مولىً له يقال له نافع ، كانت له مَنزلة من يزيد بن معاوية . قال نافع : فلما قدمنا عليه أمر لعبد الله بن جعفر بألف ألف ، وقضى عنه ألفَ ألفٍ ، ثم نظر إليّ فتبسَّم؛ فقلت : هذه لتلك الليلة . وكنتُ سامرتُه ليلة في خلافة معاوية وأسمعتُه فيها فذكَّرته بها .

وقدِمَتْ عليه هدايا من مصر كثيرة ، فأمر بها لعبد الله بن جعفر ، وكانت له مائة ناقة ، فقلت لابن جعفر : لو سألته منها شيئاً نحتلبه في طريقنا ؟ ففعل ، فأمر بصَرْفها كلِّها اليه . فلما أراد الوَداع أرسل إليّ فدخلتُ عليه ، فقال : ويلك ! إنما أخَّرتك لأتفرَّغ اليك ، هاتِ قولَ جميل :

خليليّ ! فيما عِشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي؟

قال : فأسمعته ؛ فقال : أحسنت والله ! هات حاجتك . فما سألته شيئاً إلا أعطانيه ؛ فقال : إن يُصلح الله هذا الأمرَ من قِبَل ابن الزبير تلقَنا بالمدينة ، فإنّ هذا لا يحسن إلا هناك . فمنع والله من ذلك شُؤمُ ابن الزُّبير .

وفود عبد الله بن جعفر

على عبد الملك بن مروان

قال بُدَيح :

وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان ، وكان زوّج ابنته أم كُلثوم من الحجّاج على ألفي ألف في السّر وخمسمائة ألف في العلانية ، وحملها اليه الى العراق، فمكثت عنده ثمانية أشهر .

قال بُدَيْح : فلما خرج عبدُ الله بن جعفر الى عبد الملك بن مروان ، خرجنا معه حتى دخلنا دِمَشْقَ ، فإنّا لَنحُطُّ رحالنا إذ جاءنا الوليدُ بن عبد الملك على بَغْلة وَرْدة ومعه الناس ، فقُلنا : جاء الى ابن جعفر ليُحيّيه ويدعوَه الى منزله . فاستقبله ابنُ جعفر بالترحيب ؛ فقال له : لكنْ أنت لا مرحباً بك ولا أهلاً .

فقال : مهلاً يابن أخي ، فلستُ أهلاً لهذه المقالة منك .

قال : بلى ولشرٍّ منها .

قال: وفيمَ ذلك؟ قال: إنك عَمدت الى عَقيلة نساء العرب،

وسيّدة بني عَبْد مناف ، فزوّجتها عَبدَ ثقيف .

قال : وفي هذا عَتَب عليّ يابن أخي ؟

قال : وما أكثرُ من هذا ؟

قال : والله إنّ أحقّ النـاس أن لا يلومني في هـذا لأنت وأبوك ، إنْ كان مَن قبلكم من الولاة ليَصِلون رَحِمي ، ويعرفون حقّي ، وإنك وأباك منعتماني ما عندكما حتى رَكِبني من الدَّين ما والله لو أنّ عبداً مجدّعاً حبشيّاً أعطاني بها ما أعطاني عبدُ ثقيفٍ لزوّجتها، فإنما فديت بها رقبتي من النّار.

قال: فما راجعه كلمةً حتى عطف عِنانه، ومضى حتى دخل على عبد الملك– وكان الوليدُ إذا غضب عُرف ذلك في وجهه– فلما رآه عبدُ الملك قال : ما لَكَ أبا العبّاس ؟

قال : إنك سلّطت عبدَ ثقيف وملّكتَه ورفعته ، حتى تزوّجَ نساء عبد مناف ؛ وأدركتْه الغَيرة .

فكتب عبدُ الملك الى الحجاج يَعزم عليه أن لا يَضع كتابه من يده حتى يُطلّقها. فما قطع الحجّاج عنها رِزقاً ولا كرامةً يُجْريها عليها حتى خرجت من الدنيا .

قال : وما زال واصلاً لعبد الله بن جعفر حتى هَلك .

قال بُدَيح: فما كان يأتي علينا هلالٌ إلا وعندنا عِيرٌ مقبلة

من الحجّاج عليها لُطَف[1] وكُسوة ومِيرة ، حتى لَحق عبدُ الله ابن جعفر بالله .

ثم استأذن ابنُ جعفر على عبد الملك، فلما دخل عليه استقبله عبدُ الملك بالترحيب ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على سريره ، ثم سأله فألطف المسألة ، حتى سأله عن مَطْعمه ومَشْربه ، فلما انقضت مسألتُه ، قال له يحيى بن الحكَم : أمن خَبيثة كان وجهك أبا جعفر ؟

قال : وما خَبيثة ؟

قال : أرضك التي جِئت منها .

قال: سبحان الله ! رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يُسمّيها طَيبة وتُسمّيها خَبيثة ! لقد اختلفتما في الدنيا وأظنكما في الآخرة مختلفَين .

فلما خرج من عنده هَيّأ له ابنُ جعفر هدايا وألطافاً. فقلت لبُدَيح : ما قِيمة ذلك ؟ قال : قيمتُه مائة ألف ، من وصَفاء ووصائف وكُسوة وحرير ولُطَف من لُطَف الحِجاز .

قال : فبعثني بها ، فدخلتُ عليه وليس عنده أحد، فجعلت أعرِض عليه شيئاً شيئاً . قال : فما رأيتُ مثل إعظامه لكلّ ما عرضتُ عليه من ذلك ، وجعل يقول كلما أريته شيئاً: عافى

---

[1] اللطف ، واحدتها لطفة : هدية .

الله أبا جعفر ، ما رأيتُ كاليوم ، وما كنّا نُريد أن يتكلّف لنا شيئاً من هذا ، وإن كنّا لمتذمّمين مُحتَشمين .

قال : فخرجت من عنده ، وأذِن لأصحابه ، فوالله لبينا أنا أحدّثه عن تعجّب عبد الملك وإعظامه لما أهدى اليه، إذا بفارس قد أقبل علينا ، فقال: أبا جعفر، إن أمير المؤمنين يَقرأ السلام عليك، ويقول لك: جمعت لنا وَخْش[1] رقيق الحجاز وأبّاقهم[2]، وحبستَ عنّا فلانة ، فابعث بها الينا .

وذلك أنه حين دخل عليه أصحابُه جعل يُحدّثهم عن هدايا ابن جعفر ويُعظمها عندهم ؛ فقال له يحيى بن الحكم : وماذا أهدى اليك ابنُ جعفر؟ جمع لك وَخْش رقيق الحجاز وأُبّاقهم وحبس عنك فلانة .

قال : ويلك ! وما فلانة هذه ؟

قال : ما لم يَسمع والله أحدٌ بمثلها قطّ جمالاً وكمالاً وخُلقاً وأدباً ، لو أراد كرامتك بعث بها اليك .

قال : وأين تُراها ، وأين تكون ؟

قال : هي والله معه ، وهي نفسه التي بين جنبيه .

---

١ الوخش: الردي، من كل شيء، ورذال الناس وسقاطهم، ويستعمل بلفظ واحد مع المفرد والجمع والمذكر والمؤنث .

٢ الأباق ، واحدهم آبق : العبد الهارب من سيده .

فلما قال الرسول ما قال ، وكان ابنُ جعفر في أذنه بعض الوَقْر إذا سمع ما يكره تصامّ ، أقبل عليّ فقال : ما يقول يا بُدَيح ؟

قال : قلت : فإن أمير المؤمنين يقرأ السلام ويقول : إنه جاءني بَريد من ثغر كذا يقول: إن الله نَصر المسلمين وأعزّهم.

قال: اقرأ أمير المؤمنين السلام، وقل له: أعزّ الله نصْرك، وكَبت عدوّك .

فقال الرسول : يا أبا جعفر ، إني لست أقول هذا ؛ وأعاد مقالتَه الأولى . فسألني ، فصرفتُه الى وجه آخر ؛ فأقبل علي الرسول ، فقال : أبرُسُل أمير المؤمنين تَهكَّمْ ؟ وعن أمير المؤمنين تُجيب هذا الجواب ؟ أما والله لأطِلَنّ دمَك[1] .

فانصرف . وأقبل عليّ ابنُ جعفر فقال: من تُرى صاحبنا؟

قلتُ : صاحبك بالأمس .

قال : أظنّه ، فما الرأي عندك ؟

قلت : يا أبا جعفر ، قد تكلّفتَ له ما تكلفت ، فإن منعتها إياه جعلتها سبباً لمنعك ، ولو طلب أمير المؤمنين إحدى بناتك ما كنتُ أرى أن تمنعها إيّاه .

---

[1] أطل دمه : أهدره .

قال : ادْعُها لي .

فلما أقبلتْ رحّب بها ، ثم أجلسها الى جَنبه ، ثم قال : أما والله ما كنتُ أظن أن يُفرّق بيني وبينكِ إلا الموت .

قالت : وما ذاك ؟

قال : إنه حدث أمر وليس والله كائناً فيه إلا ما أحببتِ ، جاء الدهر فيه بما جاء .

قالت : وما هو ؟

قال : إن أمير المؤمنين بعث يَطْلبكِ ، فإن تَهْوي فذاك ، وإلا والله لا يكون أبداً .

قالت : ما شيءٌ لك فيه هوىً ولا أظن فيه فرجاً عنك إلا فديتُه بنفسي .

وأرسلت عَينيها بالبكاء ؛ فقال لها : أما إذ فعلتِ فـــلا تَرَيِنّ مكروهاً .

فمسحتْ عينيها ، وأشار إليّ فقال : ويحك يا بُدَيح ! استحثّها قبل أن تتقدّم إليّ من القوم بادرة .

قال : ودعا بأربع وصائف ودعا من صاحب نفقته بخمسمائة دينار ، ودعا مَوْلاة له كانت تَلي طِيبه ، فدَحَسَتْ لها رَبعة[1]

١ دحست : ملأت . الربعة : الجونة ، سليلة مغشاة جلداً .

عظيمة مَمْلوءة طِيباً ، ثم قال : عَجّلها ويلك !

فخرجتُ أسوقُها حتى انتهيت الى الباب ، وإذا الفارس قد بلّغ عني ، فما تركني الحُجّاب أن تَمسّ رِجلاي الأرض حتى أدخلتُ على عبد الملك وهو يَتلظّى ؛ فقال لي : وكذا أنت المُجيب عن أمير المؤمنين والمُتهكم بِرُسله !

قلت : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أتكلم .

قال : وما تقول يا كذا وكذا ؟

قلت : ائذن لي يجعلني الله فداك أتكلم .

قال : تكلم .

قلت : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأناً ، وأقلّ خطراً من أن يَبلغ كلامي من أمير المؤمنين ما أرى ، وهل أنا إلا عبد من عبيد أمير المؤمنين ؟ نعم ، قد قلت ما بلغك ، وقد يعلم أميرُ المؤمنين أنّا إنما نعيش في كَنَف هذا الشيخ ، وأنّ الله لم يزل اليه مُحْسناً ، فجاءه من قِبَلك شيء ما أتاه قطّ مثله ، إنما طلبتَ نفسه التي بين جَنْبيه ، فأجبتُ بما بَلغك لأسهّل الأمر عليه ، ثم سألني فأخبرته ، واستشارني فأشرتُ عليه ، وها هي ذه قد جِئْتُك بها .

قال : أدْخِلها ويلك !

قال : فأدخلتها عليه ، وعنده مَسلمة ابنه غلام ما رأيت

مثلَه ولا أجمل منه حين اخضرّ شاربُه ، فلما جلستْ وكلّمها أعجب بكلامها، فقال: لله أبوكِ! أُمسِكك لنفسي أحبُّ اليك، أم أَهبُكِ لهذا الغلام ؟ فإنه ابنُ أمير المؤمنين .

قالت: يا أمير المؤمنين، لستُ لك بحقيقة، وعسى أن يكون هذا الغلام لي وَجْهاً .

قال: فقام من مكانه ما راجعها، فدخل وأقبل عليها مَسلمة، فقال : يا لَكاع[1] ، أعلى أمير المؤمنين تختارين ؟

قالت : يا عدوّ نفسه ، إنما تلومُني أن اخترتُك ! لعَمْرُ الله ، لقد فالَ[2] رأيُ من اختارك .

قال : فضِقْتَ والله بمجلسه ؛ واطّلع علينا عبدُ الملك ، قد ادّهن بدُهْن وارى الشيب ، وعليه حُلة تتلألأ كأنها الذهب ، بيده مِخْصرة يَخْطِر بها ، فجلس بمجلسه على سريره ، ثم قال : إيها ! لله أبوكِ! أُمسِكك لنفسي أحبُّ لك ، أم أهبُكِ لهذا الغلام ؟

قالت : ومن أنت ، أصلحك الله ؟

قال لها الخَصِيّ : هذا أميرُ المؤمنين .

---

١ يا لكاع : يا لئيمة .
٢ فال : أخطأ وضعف .

قالت : لست مُختارة على أمير المؤمنين أحداً .

قال : فأين قولُكِ آنفاً ؟

قالت : رأيت شيخاً كبيراً ، وأرى أمير المؤمنين أشبَّ الناس وأجملهم ، ولستُ مختارة عليه أحداً .

قال : دُونكها يا مَسْلمة .

قال بُدَيح : فنشرتُ عليه الكُسوة والدنانير التي معي ، وأريتُه الجواري والطّيب ؛ قال : عافى الله ابنَ جعفر ، أخَشِي أن لا يكون لها عندنا نفقة وطيب وكُسوة ؟ فقلت : بلى ، ولكنه أحبَّ أن يكون معها ما تَكْتفي به حتى تستأنس .

قال : فقبضها مَسْلمة . فلم تلبث عنده إلا يسيراً حتى هَلكت .

قال بُدَيح : فوالله الذي ذهب بنفس مَسلمة ، ما جلستُ معه مجلساً ، ولا وقفتُ موقفاً أنازعه فيه الحديث إلا قال : ابغني مثل فلانة ، فأقول : ابغني مثلَ ابن جعفر .

قال : فقلت لبُديح : ويلك ! فما أجازه به ؟

قال : قال حين دَفع اليه حاجتَه ودَينه : لأجيزنّك جائزة ، لو نُشر لي مروان من قبره ما زِدْته عليها .

فأمر له بمائة ألف ، وايم الله إني لا أحسبه أنفقَ في هديّته ومسيره ذلك وجاريتِه التي كانت عِدلَ نفسه مائتي ألف .

وفود الشعبي

على عبد الملك بن مروان

كتب عبدُ الملك بن مَروان الى الحجّاج بن يوسف : أن ابعثْ إليَّ رجلاً يَصلُح للدِّين والدنيا ، أتخذه سميراً وجليساً وخَليلاً .

فقال الحجاج : ما له إلا عامر الشعبي .

وبعث به اليه . فلما دخل عليه وجده قد كَبا مُهتمّاً ، فقال : ما بالُ أمير المؤمنين ؟

قال : ذكرتُ قولَ زُهير :

كأنّي، وقد جاوزتُ تِسعين حِجّةً ،
خَلعتُ بها عَني عِذار لِجامي

رَمَتني بَناتُ الدّهر من حيثُ لا أرى ،
فكيف بمَنْ يُرمى وليس بِرامي؟

فلو أنّني أُرمى بِنَبْل رأيتُها ،
ولكنّني أُرمى بغَير سِهام

على الرَّاحتين ، تارةً ، وعلى العَصا ،
أنوء ثلاثاً ، بعدَهُنَّ قِيامي

قال له الشعبي : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لَبيدُ بن ربيعة ، وقد بلغ سَبعين حِجّة :

كأنّي ، وقد جاوزتُ سَبعين حِجّةً ،
خَلعتُ بها عن مَنكِبيَّ رِدائيا

ولما بلغ سبعاً وسبعين سنةً قال :

باتت تَشكّى إليَّ النفسُ مُوهِنَةً ،
وقد حملتُكِ سَبعاً بعد سَبعينا[1]

فإنْ تَزادي ثلاثاً تبلُغي أملاً ،
وفي الثّلاث وفاءٌ للثّمانينا

ولمّا بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سَئِمتُ من الحياة وطُولِها ،
وسُؤالِ هذا الناسِ كيفَ لَبيدُ ؟

ولما بلغ عشراً ومائة قال :

أليسَ ورائي ، إن تراخَتْ مَنيّتي ،
لُزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ ؟

---

١ موهنة : ضعيفة .

أُخبّر أخبارَ القرون التي خلت،
أنوء، كأنني كلما قُمْت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال :

تمنّى ابنتايَ أن يَعيش أبوهما،
وهَلْ أنا إلا مِنْ رَبيعة، أو مُضَر؟

فقوما، فقولا بالذي تعلمانه،
ولا تَخمِشا وَجْهاً، ولا تَحلِقا شَعَر

وقولا : هو المَرْءُ الذي لا صديقَه
أضاعَ، ولا خان الخليلَ ولا غدَر

إلى سَنة، ثم السلامُ عليكما،
ومن يَبْكِ حولاً كاملاً فقدِ اعتذر

قال الشعبيُّ : فلقد رأيت السرور في وَجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها .

وفود الحجاج بابراهيم بن محمد

ابن طلحة على عبد الملك بن مروان

عمران بن عبد العزيز قال :

لما وَلي الحجاجُ بن يوسُف الحرمين بعد قتْلِه ابن الزبير ، استخلص إبراهيم بن محمد بن طلحة فقرّبه وعظّم منزلته، فلم تزل تلك حالُه عنده حتى خرج الى عبد الملك بن مروان ، فخرج معه مُعادِلاً، لا يُقصّر له في برّ ولا إعظام، حتى حضر به عبدَ الملك، فلما دخل عليه لم يَبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال له: قدِمت عليك أمير المؤمنين برَجُل الحجاز، لم أدَع له بها نظيراً في الفضل والأدب والمروءة وحُسن المذهب، مع قرابة الرّحم ووجوب الحق وعِظَم قدْر الأبوّة، وما بلوتُ منه في الطاعة والنصيحة وحسن الموازرة ، وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة، وقد أحضرته بابَك ليسْهُل عليه إذنُك ، وتَعْرفَ له ما عَرّفتك .

فقال : أذكرتَنا رَحِماً قريبة وحقّاً واجباً . يا غلام ، ائذن لإبراهيم بن محمد بن طلحة .

فلما دخل عليه أدناه عبدُ الملك حتى أجلسه على فِراشه ، ثم

قال له : يابن طلحة ، إن أبا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفك به في الفَضْل والأدب والمُروءة وحُسن المذهب، مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعِظَم قدر الأبوة ، وما بَلاه منك في الطاعة والنصيحة وحُسن الموازرة ، فلا تدعنّ حاجة في خاصّة نفسك وعامّتك إلا ذكرتها .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أولَ الحوائج وأحقّ ما قُدّم بين يدي الأمور ما كان لله فيه رِضا ، ولحقّ نبيّه ، صلى الله عليه وسلم ، أداء ، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة ، وعندي نصيحة لا أجد بُدّاً من ذكرها ، ولا أقدر على ذلك إلا وأنا خالٍ ، فأخلني يا أمير المؤمنين تَرِد عليك نصيحتي .

قال : دون أبي محمد ؟

قال : نعم ، دون أبي محمد .

قال عبد الملك للحجاج : قُم .

فلما خَطْرَف السّتر[1] أقبل عليّ ، فقال : يابن طلحة ، قُل نصيحتك .

فقال : تالله يا أمير المؤمنين ، لقد عَمَدتَ إلى الحجاج في تَغَطرسه وتَعَجْرُفه وبُعده من الحق وقربه من الباطل ،

---

١ خطرف الستر : انسدل وارخي

فولّيتَه الحرمين ، وهما ما هما وبهما ما بهمـا من المهاجرين والأنصار والموالي الأخيار يَطؤهم بطَغام أهل الشام ، ورَعاع لا رويّة لهم في إقامة حقّ ولا في إزاحة باطل، ويسومهم الخسف ويحكم فيهم بغير السُنّة، بعد الذي كان من سَفك دمائهم، وما انتُهك من حُرَمِهم، ثم ظننتَ أن ذلك فـيما بينك وبين الله زاهق[1] ، وفيما بينك وبين نَبيّك غداً إذا جاثاك للخصومة[2] بين يدي الله في أمته ، أما والله لا تَنجو هنالك إلا بحُجّة، فاربَع على نفسك[3] أوْ دَعْ .

فقال له عبد الملك : كذبْتَ ومِنْت وظنّ بك الحجاج ما لم يَجِده فيك ، وقد يُظن الخير بغير أهله، قُم فأنت الكاذب المائن .

قال : فقمتُ وما أعرف طريقاً، فلما خطرف الستر لحِقني لاحق ، فقال : احبسوا هذا ؛ وقال للحجاج : ادخل ؛ فدخل، فمكث مَليّاً من النهار لا أشك أنهما في أمري، ثم خرج الآذن، فقال : ادخل يابن طلحة .

فلما كُشف لي الستر لقيني الحجّاج، وهو خارج وأنا داخل،

---

١ زاهق : هالك .
٢ المجاثاة للخصومة : ان يجلس كل على ركبتيه مستوفزاً .
٣ اربع على نفسك : كف وارفق .

فاعتنقني وقبّل ما بين عينيّ ، وقال : أمـــا إذا جزى الله المتواخيين خيراً بفضل تواصُلهم فجزاك الله عني أفضل الجزاء، فوالله لئن سَلِمْتُ لك لأرفعنّ ناظرك ، ولأعلينّ كعبك ، ولأتبعنّ الرجال غبار قدميك .

قال : فقلت : يَهزأ بي وحقّ الكعبة . فلما وصلتُ الى عبد الملك أدناني حتى أدناني عن مجلسي الأول ، ثم قال : يابن طلحة ، لعلّ أحداً شاركك في نصيحتك هذه ؟

قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم أحداً أنصعَ عندي يداً ولا أعظم مَعروفاً من الحجاج، ولو كنت محابياً أحداً لغرض دُنيا لحابيته ، ولكني آثرتُ الله ورسوله وآثرتُك والمؤمنين عليه .

قال : قد عَلمتُ أنك لم تُرد الدنيا ، ولو أردتها لكانت لك في الحجّاج ، ولكن أردتَ الله والدارَ الآخرة ، وقد عزلتُه عن الحرمين لما كرهتَ من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استقلالاً لهما ، ووليّتُه العراقين ، وما هنالك من الأمور التي لا يَدحضها الا مثلُه ، وأعلمته أنك استدعيتني الى ولايته عليهما استزادةً له ، لألزمه بذلك من حقّك ما يؤدّي اليك عني أجر نصيحتك ، فاخرج معه فإنك غير ذامٍّ لصُحْبته .

فخرجتُ مع الحجاج وأكرمني أضعاف إكرامه .

وفود رسول المهلب

على الحجاج بقتل الأزارقة

أبو الحسن المدائني قال :

لما هَزم المُهلَّب بن أبي صُفرة قَطريَّ بنَ الفُجاءة صاحبَ الأزارقة ، بعث الى مالك بن بَشير ، فقال له : إني مُوفدك الى الحجاج فسِرْ ، فإنما هو رجل مثلك .

وبعث اليه بجائزة ، فردّها وقال : إنما الجائزة بعد الاستحقاق ؛ وتوجّه . فلما دخل على الحجاج ؛ قال له : ما اسمُك ؟

قال : مالك بن بَشير .

قال : مُلكٌ وبشارة ؛ كيف تركتَ المُهلَّب ؟

قال : أدركَ ما أمّل وأمّن من خاف .

قال : كيف هو بجُنده ؟

قال : والدٌ رؤوف .

قال : فكيف جُنده له ؟

قال : أولادٌ بَررة .

قال : كيف رضاهم عنه ؟

قال : وسِعَهم بالفضل وأقنعهم بالعَدل .

قال : فكيف تصنعون إذا لقيتم عدوّكم ؟

قال : نَلقاهم بجَدّنا فنطمع فيهم، ويَلقوننا بجَدّهم فيطمعون فينا .

قال : كذلك الجدّ إذا لقي الجدّ؛ قال : فما حال قطريّ؟

قال : كادنا ببعض ما كِدناه .

قال : فما منَعكم من اتباعه ؟

قال : رأينا المُقام من ورائه خيراً من اتباعه .

قال : فأخبرني عن ولد المُهلّب .

قال : أعباء القِتال بالليل ، حُماة السَّرح[1] بالنهار .

قال : أيهم أفضل ؟

قال : ذلك الى أبيهم .

قال : لتقولنّ .

قال : هم كَحلْقة مَضروبة لا يُعرف طرفاها .

قال : أقسمتُ عليك ، هل روّأت[2] في هذا الكلام ؟

قال : ما أطلع الله على غيبه أحداً .

فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .

---

١ السرح : المال السائم .

٢ روأ في الأمر : نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب .

وفود جرير على عبد الملك بن مروان

لما مَدح جرير بن الخَطَفى الحجّاج بن يوسف بشِعْره الذي يقول فيه :

مَن سَدَّ مُطّلَع النّفاق عليكُمُ ،
أم مَن يَصُول كَصَولة الحجّاج؟

أم من يَغارُ على النّساء حَفِيظَةً ،
إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرة الأزواجِ ؟

وقوله :

دعا الحجاجُ مثلَ دُعاء نُوح ، فأسْمعَ ذا المَعارج ، فاستجابا

قال له الحجاج : إن الطاقة تعجِز عن المكافأة ، ولكني مُوفدكَ على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فسِرْ اليه بكتابي هذا .

فسار اليه ، ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذن له ، فقال :

أتَصْحو بل فؤادُكَ غيرُ صاحي

قال له عبد الملك : بل فؤادك . فلما انتهى الى قوله :

تَعزّت أمُّ حَزْرة ، ثم قالت : رأيت الواردين ذوي امتِياحِ [1]

---

١ الامتياح : المنفعة والعطاء .

ثِقي بالله ليس له شَريكٌ ، ومِن عند الخَليفة بالنَّجاح
سأشكُرُ إن رَددتَ إليّ رِيشي ، وأثبتَّ القَوادم في جَناحي
ألستُم خيرَ مَن ركبَ المطَايا ، وأندى العالمين بُطونَ راح؟

ارتاح عبد الملك وكان مُتكئاً ، فاستوى جالساً ، ثم قال: من مدحنا منكم فلْيمدحنا بمثل هذا أو ليسكُت ؛ ثم قال له : يا جرير ، أترى أم حَزْرة تُرويها مائة ناقةٍ من نَعَم كَلب ؟

قال : إذا لم تُروِها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله .

فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب كلّها سُود الحدقة ؛ فقال: يا أمير المؤمنين ، إنها أبَاق ونحن مشايخ ، وليس بأحدنا فضْل عن راحلته ، فلو أمرتَ بالرّعاء . فأمر له بثمانية من الرّعاء .

وكانت بين يدي عبد الملك صِحاف من فِضّة يقرعها بقضيب في يده ؛ فقال له جرير : والمِحْلب يا أمير المؤمنين، وأشار إلى صَحفة منها .

فنَبذها اليه بالقضيب وقال : خُذْها لا نفعتك ، ففي ذلك يقول جرير :

أعطَوْا هُنيدة يحدوها ثمانيةٌ ، ما في عَطائهم مَنٌّ ولا سَرَفٌ[1]

---

١ الهنيدة : اسم للمائة من الابل ، او لما فوقها .

وفود جرير عن أهل الحجاز

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قَدِمَ جرير بن الخَطَفى على عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، عن أهل الحجاز فاستأذنه في الشعر ، فقال: ما لي وللشعر يا جرير ؟ إني لفي شُغل عنه .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنها رسالة عن أهل الحجاز .

قال : فهاتها إذاً .

فقال :

كم من ضَريرٍ ، أميرَ المؤمنين ، لدى
أهل الحِجاز ، دَهاه البُؤس والضَّررُ

أصابت السنةُ الشَّهباءُ ما ملَكت
يمينُه ، فَحَناه الجَهْد والكِبَر

ومن قَطيع الحَشا عاشت مُخبَّأةً ،
ما كانت الشمسُ تَلقاها ولا القمر[1]

لمّا اجتلتْها صُروف الدهرِ كارهةً ،
قامت تُنادي بأعلى الصوت يا عُمر

---

١ قطيع الحشا : أي كأن عجزها منقطع من سائر جسدها لضمور خصرها .

وفود دكين الراجز

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قال دُكين بن رَجاء الفُقَيمي الراجز: مدحت عُمر بن عبد العزيز ، وهو والي المدينة ، فأمر لي بخمسَ عَشرة ناقةً كرائم صِعاباً ، فكرهتُ أن أرْمي بها الفِجاج فتنْتَشِرَ عليَّ ، ولم تَطِب نفسي ببيعها ، فقدِمتْ علينا رُفقةٌ من مُضَر ، فسألتهم الصُّحبة ، فقالوا : إن خرجتَ الليلة .

فقلت : إني لم أودِّع الأمير ولا بدّ من وَداعه .

قالوا : فإن الأمير لا يُحجَب عن طارق ليل .

فاستأذنتُ عليه ، فأذِن لي وعنده شيخان لا أعرفهما؛ فقال لي : يا دُكين ، إن لي نفساً توّاقة ، فإن أنا صِرْت الى أكثر مما أنا فيه فبعَين ما أرينّك .

قلت له : أشهِد لي بذلك أيها الأمير .

قال : إني أشهد الله .

قلت : ومِنْ خَلقه ؟

قال : هذين الشيخين .

قلت لأحدهما : من أنت يَرْحمك الله أعرفُك ؟

قال : سالمُ بنُ عبد الله .

فقلتُ : لقد استَسْمنتُ الشاهد ؛ وقلت للآخر : من أنت يرحمك الله ؟

قال: أبو يحيى مولى الأمير، وكان مُزاحمٌ يُكنى أبا يحيى.

قال دُكين : فخرجتُ بهن الى بلدي فرمى الله في أذنابهنّ بالبركة ، حتى اتخذتُ منهن الضياع والرّباع[1] والغلمان ، فإني لَبِصَحْراء فَلْج إذا بَريد يَرْكضِ الى الشام ، فقلت له : هل من مُغرّبة خبر[2] ؟

قال : مات سليمان بن عبد الملك .

قلت : فمَن القائم بعده ؟

قال : عمرُ بنُ عبد العزيز .

قال : فأنختُ قلوصي ، فألقيت عليها أداتي وتوجّهت عنده ، فلقيتُ جريراً في الطريق جائياً من عنده ، فقلت : من أين أبا حَزْرة ؟

---

١ الرباع : الدور ، الواحد : ربع .

٢ هل من مغربة خبر : اي هل من خبر جديد آت من بلد بعيد ؟

قال : من عند أمير يُعطي الفقراء ويمنع الشعراء .

قلت : فما ترى ، فإني خرجت اليه ؟

قال : عوّل عليه في مال ابن السبيل ، كما فعلتُ .

فانطلقت فوجدتُه قاعداً على كرسيّ في عَرْصة داره قد أحاط الناس به ، فلم أجد اليه سبيلاً للوصول ، فناديتُ بأعلى صوتي :

يا عُمَرَ الخيراتِ والمكارمْ، وعُمَرَ الدسائعِ العظائمْ[1]

إنّي امرؤٌ من قَطَنِ بن دارمْ، أطْلُبُ حاجي من أخي مَكارمْ

إذْ نَنتجي ، واللهُ غيرُ نائمْ، في ظُلْمةِ الليلِ وليلي عاتِمِ

عندَ أبي يحيى وعند سالم

فقام أبو يحيى ، ففرّج لي[2] وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لهذا البدويّ عندي شهادة عليك .

قال: أعرفها ، ادنُ مني يا دُكين ، أنا كما ذكرتُ لك أنّ لي نفساً توّاقة ، وأن نفسي تاقت الى أشرف منازل الدنيا، فلما

---

١ الدسائع ، واحدتها دسيعة : الجفنة الكبيرة ، والعطية الجزيلة .
٢ فرج لي : وسع لي المكان .

أدركتُها وجدتُها تتوق الى الآخرة ، والله ما رَزأتُ من أمور الناس شيئاً فأعطيَك منه ، وما عندي إلا ألفا درهم ، أعطيك احدهما .

فأمر لي بألف درهم . فوالله ما رأيت ألفاً كانت أعظمَ بركةً منها .

•

وفود كثير والاحوص

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

حَمّاد الراوية قال :

قال لي كُثَيِّر عَزّة : ألا أخبرك عما دعاني الى ترك الشعر؟

قلت : نعم .

قال : شخصتُ أنا والأحوص ونُصيب الى عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه ، وكلٌّ واحد منا يُدِلّ عليه بسابقة وإخاء قديم ، ونحن لا نشك أنه سَيَشْرَكُنا في خلافته ، فلما رُفِعَت لنا أعلامُ خُناصرة[1] ، لقينا مَسْلمة بن عبد الملك ، وهو يومئذ فتى العربِ ؛ فسلّمنا ، فردّ ، ثم قال : أما بلغكم أنّ إمامكم لا يقبل الشعر ؟

قلنا : ما توضّح الينا خَبَرٌ حتى انتهينا اليك .

ووَجَمْنا[2] وجْمةً عرف ذلك فينا ؛ فقال : إن يَكُ ذو

---

١ خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية .

٢ وجمنا : سكتنا من شدة الغيظ .

دِين بني مَروان قد وَلي وخَشيتم حِرمانه ، فإنّ ذا دُنياها قد بَقي ولكم عندي ما تُحبُّون ، ومــا ألبث حتى أرجع اليكم وأمنحكم ما أنتم أهله .

فلما قدم كانت رحالنا عنده بأكرم مَنزل وأكرم منزول عليه ؛ فأقمنا عنده أربعةَ أشهر يطلب لنا الإذن هو وغيره فلا يؤذن لنا ، الى أن قلت في جمعة من تلك الجمع : لو أني دنوتُ من عمر فسَمِعت كلامه فحفظته كان ذلك رأياً .

ففعلتُ . فكان مما حفظتُ من كلامه : لكلّ سفَر زادٌ لا محالة ، فتزوّدوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة بالتّقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعدَّ الله له من ثوابه أو عقابه ، فترغبوا وترهبوا ، ولا يَطولَنَّ عليكم الأمد فتقسوَ قلوبكم وتَنقادوا لعدوّكم ؛ في كلام كثير لا أحفظه .

ثم قال : أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتَخسَرَ صفقتي ، وتَظهر عَيلتي ، وتبدو مَسكنتي ، في يوم لا ينفع فيه إلا الحقُّ والصّدق .

ثم بكى حتى ظننتُ أنه قاضٍ نَحبه، وارتجّ المسجدُ وما حوله بالبكاء، وانصرفتُ الى صاحبيَّ فقلت لهما: خُذا في شَرْج[1]

---

[1] الشرج : الضرب واللون .

من الشعر غير ما كنّا نقول لعُمرَ وآبائه ، فإن الرجل آخِريّ وليس بِدُنيَويّ .

الى ان استأذن لنا مَسلمة في يوم جُمعة بعدما أذن للعامة، فلما دخلتُ سلّمتُ ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، طال الثّواء وقلّت الفائدة وتحدّثتْ بجفائك إيّانا وفودُ العرب .

قال : يا كُثيِّر « إنما الصّدقاتُ للفُقَراء والمَساكينَ والعاملِينَ عَليْها والمؤلّفةِ قُلوبُهم وفي الرّقاب والغارمينَ وفي سَبيل الله وابنِ السّبيل . » أفي واحد من هؤلاء أنت ؟

قلت : بَلى ، ابن سبيل منقَطَع به ؛ وأنا ضاحك .

قال : ألستَ ضَيْفَ أبي سعيد ؟

قلت : بلى .

قال : ما أرى ضيفَ أبي سعيد منقَطَعاً به .

قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في الإنشاد؟ قال: نعم، ولا تقل إلا حقّاً .

فقلت :

وَلِيتَ فلم تشتُم عليّاً ، ولم تُخِفْ
بَرِيّاً ؛ ولم تَقبَل إشارة مُجرِمِ

وصدّقتَ بالفعل المقالَ مع الذي
أتيتَ ، فأمسى راضياً كلُّ مُسلم

ألا إنما يَكفي الفتى ، بعد زَيغه ،
من الأوَدِ البادي ، ثِقافُ المُقوّم[1]

وقد لبستَ لُبْسَ الهَلوك ثيابَها ،
تراءى لك الدُّنيا بكفٍّ ومِعصم[2]

وتُومِض أحياناً بعينٍ مريضةٍ ،
وتَبْسِم عن مِثل الجُمان المنظّم

فأعرضتَ عنها مُشمئزّاً ، كأنما
سقتْك مَدُوفاً من سِمامٍ وعلقم[3]

وقد كنتَ ، من أجبالها ، في مُمنَّع ،
ومن بحرها ، في مُزْبد الموج مُفعَم

وما زلتَ ترّاقاً الى كل غايةٍ ،
بلغتَ بها أعلى البِناء المُقوّم

فلما أتاك المُلْك عفواً ، ولم يكن
لطالبِ دنيا بعدَه من تكلّم

---

١ زيغه : ميله عن الحق . الاود : العوج . الثقاف : آلة تقوم بها الرماح .
٢ الهلوك من النساء : الفاجرة .
٣ المدوف : المخلوط . السمام : السم .

تركتَ الذي يَفنى، وإن كان مُونِقاً،
وآثرْتَ ما يَبقى برأيٍ مُصمِّم

وأضررت بالفاني ، وشمَّرت للذي
أمامك في يوم من الهَوْل مُظلم

وما لَكَ ، إذ كنتَ الخليفة ، مانعٌ
سوى الله من مال رَغِيب ، ولا دَم

سَما لك هَمٌّ ، في الفؤاد ، مُؤرِّق
بَلغتَ بــه أعلى المعالي بسُلَّم

فما بين شَرْق الأرض والغرب كلّها،
مُنادٍ يُنادي من فَصيحٍ وأعجم

يقول : أمــيرَ المؤمنين ظلمتَني
بأخذٍ لدينار ، ولا أخـــذ دِرهم

ولا بَسْطِ كفٍّ لامرىء غير مُجرم،
ولا السفكِ منه ظالماً مِلء مِحْجَم

ولو يستطيــع المُسلمون لقسَّموا
لك الشطرَ من أعمارهم ، غيرَ نُدَّم

فأرْبِحْ بهــا من صَفْقَةٍ لمُبايـع؛
وأعْظِم بها ، أعظِم بها ، ثم أعظِم

قال : فأقبل عليّ وقال : إنك مَسؤول عما قلت .

ثم تقدّم الأحوص فاستأذنه في الانشاد ؛ فقال : قُل ولا تقل إلاّ حقاً .

فقال :

وما الشّعر إلا حكمة من مُؤلّف،
بمَنْطِقِ حقٍّ ، أو بمَنْطِقِ باطلِ

فلا تَقْبَلَنْ إلا الذي وافق الرّضا،
ولا تَرْجِعَنْ كالنّساء الأرامل

رأيناك لم تَعْدِل عن الحق يَمْنَةً،
ولا شأمةً ، فِعْلَ الظّلوم المُخاتل[1]

ولكن أخذتَ الحقّ جهدك كلّه،
وتَقفو مثالَ الصالحين الأوائل

فقلنا ، ولم نَكْذِب بما قد بدا لنا،
ومن ذا يرُدُّ الحقّ من قوْل قائل

ومن ذا يرُدُّ السهمَ ، بعد مضائه
على فُوقه ، إذ عار من نَزْعِ نابل[2]

---

١ شأمة : يسرة .
٢ عار : ذهب عائراً لا يدري من أين أتى .

ولولا الذي قد عوّدتْنا خلائفٌ
غَطاريفُ ، كانوا كالليوث البَواسل

لما وخَدَت شهراً برَحْلي شِمِلّةٌ،
تقُدُّ مُتون البِيد بين الرّواحل[1]

ولكن رجَوْنا منك مثل الذي به
حُبِينا، زماناً ، من ذويك الأوائل[2]

فإن لم يكن للشعر عندك مَوْضِعٌ،
وإن كان مثلَ الدُّرّ من نَظْم قائِل

وكان مُصيباً صادقـــاً لا يَعيبه،
سوى أنـــه يُبْنى بناء المنازل

فــإنّ لنــا قرْبى ومحضَ مودّةٍ،
وميراثَ آباء مَشَوْا بالمَناصــل

فذادوا عدوّ السِّلم عن عُقرِ دارهم،
وأرْسَوا عمودَ الدّين بعد التمايُل

---

١ الشملة : السريعة .
٢ حبينا : أعطينا .

وقَبلكَ ما أعطى المُنَبِّدة جِلَّةً،
على الشِّعر كعباً من سَديس وبازِلِ[1]،

رسولُ الإله المُستضاء بنــوره،
عليه سلام بالضُّحى والأصائـــل

فقال : إنك مسؤول عما قلت .

ثم تقدّم نُصيب فاستأذنه في الإنشاد ، فلم يأذن له ، وأمره بالغزو الى دابق[2] ، فخرج اليها وهو مَحْموم . وأمر لي بثلثمائة، وللأحوص بمثلها ، ولنُصيب بمائة وخمسين .

١ كعباً: هو كعب بن زهير. السديس من الابل: ما دخل في السنة الثامنة. البازل: الذي فطر نابه ، اي انشق ، وذلك في السنة التاسعة .

٢ دابق : قرية قرب حلب .

وفود الشعراء

على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

ابن الكلبيّ :

لما استُخلف عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه ، وفدت اليه الشعراء كما كانت تَفِد الى الخلفاء قبله ، فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول ، حتى قدم عَون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود على عمر بن عبد العزيز، وعليه عمامة قد أرخى طرفيْها، وكانت له منه مكانة ، فصاح به جرير :

يأيها الرّجلُ المُرْخي عمامته!
هذا زمانُك إني قد مضى زمني

أبلغْ خَليفتنا ، إن كنتَ لاقيَه،
أنـّي لدى الباب كالمَصفود في قَرَنِ[1]

وَحْش المكانة من أهلي ومن ولدي،
نائي المحلّة عن داري وعن وطني

---

١ المصفود في قرن : المربوط بحبل .

قال : نَعم أبا حَزرة ونُعمى عين . فلما دخل على عمر ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء ببابك ، وأقوالهم باقية وسِنانهم مَسنونة .

قال : يا عَون ، ما لي وللشعراء .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، قد مُدح وأعطى ، وفيه أسوة لكل مُسلم .

قال : ومن مَدحه ؟

قلتُ : عبّاس بن مرداس ، فكساه حُلّة قَطع بها لسانه .

قال : وتروي قوله ؟

قلتُ : نعم :

رأيتُك يا خيرَ البريّة كلّها، نَشرتَ كتاباً جاء بالحق مُعلَما
ونوّرت بالبُرهان أمراً مُدمَّساً، وأطفأت بالبُرهان ناراً مُضرَّما[1]
فمَن مُبلغ عنّي النبيَّ محمداً، وكلُّ امرىء يُجزى بما قد تكلّما
تعالى عُلوّاً فوق عرش إلهنا، وكان مكانُ الله أعلى وأعظما

قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟

قلتُ : ابن عمك عمر بن أبي ربيعة .

---

١ المدمس : المظلم .

قال: لا قرّب الله قرابته ولا حيّا وجهه، أليس هو القائل:

ألا ليت أني ، يوم حانت مَنيتي،
شَممتُ الذي ما بين عينيك والفمِ

وليتَ طَهوري كان رِيقك كلّه؛
وليت حَنوطي من مُشاشك والدم

ويا ليت سَلمى في القُبور ضَجيعتي،
هنالك ، أو في جَنّة ، أو جهنّم

فليته والله تمنى لقاءها في الدنيا ، ويعمل عملاً صالحاً ، والله لا دخل عليّ أبداً ؛ فمن بالباب غير من ذكرت ؟

قلت : جميل بن مَعمر العُذريّ ؛ قال : هو الذي يقول:

ألا ليتنا نَحيا جميعاً ، وإن نَمُت
يوافي لدى الموتى ضَريحي ضريحُها

فما أنا في طول الحياة براغب،
إذا قيل قد سُوّي عليها صَفيحُها

أظلُّ نهاري لا أراها ويلتقي،
مع الليل ، رُوحي في المنام ورُوحُها

اعزُب به، فوالله لا دخل عليّ أبداً؛ فمَن غير من ذكرت؟
قلتُ : كثيّر عزّة .

قال : هو الذي يقول :

رُهبان مَدْيَن ، والذين عَهِدتُهم
يَبكون ، من حَذَرِ العذاب، قُعودا

لو يَسمعون ، كما سَمِعْتُ حديثَها،
خرّوا لعزّةَ راكعين سُجودا

اعزُب به ، فمن بالباب غيرُ من ذكرت ؟

قلتُ : الأحوص الأنصاري ؛ قال : أبْعدَه الله ومحقه ، أليس هو القائل ، وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريةً هرب بها منه :

اللهُ بيني وبينَ سيّدها ، يَفِرّ عَنّي بها وأتّبعُ

اعزُب به ، فمن بالباب غيرُ من ذكرت ؟ قلتُ : همّام ابن غالب الفرزدق ؛ قال : أليس هو القائل يفخر بالزنى :

هما دَلّتاني من ثمانين قامةً،
كما انقضّ بازٍ أقتَمُ الريش كاسِرُه

فلمّا استوت رجلاي في الأرض قالتا:
أحيّ يُرَجّى أم قتيل نُحاذره

وأصبحتُ في القوم الجلوس، وأصبحت
مُغلّقةٌ ، دوني ، عليها دساكِرُه

فقلت ارفعا الأسباب، لا يَشعروا بنا،
وولّيتُ في أعقاب ليلٍ أبادره[1]

اعزب به ، فوالله لا دخل عليّ أبداً ؛ فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قُلت : الأخطل التغلبي ؛ قال : أليس هو القائل :

فلستُ بصائمٍ رمضان عُمري، ولستُ بآكلٍ لحمَ الأضاحي
ولستُ بزاجرٍ عَنساً بكوراً، الى بَطحاء مكّةَ ، للنّجاح
ولستُ بقائم ، كالعَيرِ يَدعو، قُبيل الصُّبح ، حيَّ على الفلاح
ولكنّي سأشربها شَمولاً ، وأسجُد عند مُنبلج الصّباح

اعزب به ، فوالله لا وَطِيء لي بساطاً أبداً وهو كافر ؛ فمن بالباب غير من ذكرت ؟

قلت : جرير بن الخَطَفى ؛ قال : أليس هو القائل :

لولا مُراقبة العُيون ، أرينَنا
مُقَلَ المَها وسَوالفَ الآرامِ

هل يَنهينّك أن قَتلن مُرقّشاً،
أو ما فعلن بعُروةَ بنِ حِزام؟

---

١ الاسباب : الحبال .

ذمّ المنازلَ بعد منزلة اللّوى،
والعيشَ بعد أولئك الأقوام

طرقتْكَ صائدةُ القلوب ، وليس ذا
حينَ الزيارة ، فارجعي بسلام

فإن كان ولا بد فهذا .

فأذن له . فخرجتُ اليه ، فقلت : ادخل أبا حزرة .

فدخل وهو يقول :

إنّ الذي بعث النبيّ محمداً، جعل الخلافة في إمامٍ عادلِ
وسعَ الخلائقَ عدلُه ووفاؤه، حتى ارعوى وأقام ميلَ المائل
والله أنزلَ ،في القرآن، فريضةً لابن السبيل ، وللفقير العائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً، والنفسُ مولعة بحبّ العاجل

فلما مثل بين يديه ، قال : اتّقِ الله يا جرير ، ولا تقل إلا حقاً .

فأنشأ يقول :

كمْ باليمامة من شعثاءَ أرملةٍ ،
ومن يتيمٍ ، ضعيفِ الصّوتِ والنّظرِ

ممن يعُدّك تكفي فقدَ والده ،
كالفرْخ في العشّ لم ينهض ولم يطرِ

يَدْعوكَ دعوةَ مَلهوفٍ ، كأنَّ به
خَبْلاً من الجنِّ ، أو مَسّاً من البَشَر

خليفةَ الله ! مـــاذا تأمرنَّ بنـا؟
لَسْنا اليكم ، ولا في دار مُنْتَظَر

ما زِلْتُ بعدكَ في همٍّ يُؤرِّقني؛
قد طال في الحيِّ إصعادي ومُنْحَدري

لا ينفع الحاضِرُ المَجْهودُ بادينا ،
ولا يعودُ لنــــا بادٍ على حَضَر

إنّا لنرجو ، إذا ما الغيثُ أخْلَفَنا ،
مِن الخليفة ما نَرْجو من المَطَر

نال الخلافةَ ، إذ كانت له قَدَراً ،
كما أتى ربَّــه موسى عَلى قَــدَر

هذي الأرامل قد قَضَّيتَ حاجتَهـا ،
فمَنْ لحاجةِ هذا الأرمَلِ الذَّكر؟

فقال : يا جرير ، والله لقد وَليتُ هذا الأمر ، وما أملِكُ إلا ثلثمائة ، فمائة أخذها عبدُ الله ، ومائة أخذتها أمُّ عبد الله ، يا غلام ، أعطه المائة الباقية .

فقال : والله يا أمير المؤمنين إنها لأحبُّ مالٍ إليَّ كسبتُه.

ثم خرج ؛ فقالوا له : ما وراءك ؟

قال : ما يَسُوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين يُعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراضٍ ؛ ثم أنشأ يقول :

رأيتُ رُقى الشيطان لا تَستَفِزُّه،
وقد كان شيطاني من الجِنّ راقيا

وفود نابغة بني جعدة

على ابن الزبير رحمه الله تعالى

الزبير بن بكار قاضي الحرمين قال: أقحمت السنةُ نابغةَ بني جعدة، فوفد الى ابن الزبير، فدخل عليه في المسجد الحرام، ثم أنشده:

حَكيتَ لنا الصِّدِّيق، لمَّا وَليتَنا،
وعثمانَ والفاروقَ، فارتاح مُعْدِمُ

وسَوَّيتَ بين الناسِ في الحقِّ، فاستَوَوْا،
فعادَ صَباحاً حالِكُ اللون مُظلم

أتاكَ أبو لَيلى يجوب به الدُّجى،
دُجى الليل، جوَّابُ الفلاةِ عَشَمْشَمُ[1]

لِتَجْبُرَ منه جانباً، زعزعت به
صُروف الليالي، والزمانُ المُصَمِّم

فقال له ابن الزبير: هَوِّن عليك أبا ليلى، فالشِّعر أدنى وسائلك عندنا، أما صَفوة أموالنا فلآل الزبير، وأما

---

١ العشمشم: الجمل الشديد الطويل.

عَفْوته[1] فإن بني أسدٍ وتيماً[2] تَشْغَلها عنك، ولكن لك في مالِ الله سهمان، سهم برؤيتك رسولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، وسَهم بشركتك أهلَ الاسلام في فَيْئِهِم .

ثم أخذ بيده ودخل به دار النَّعم فأعطاه قلائص[3] سَبعاً، وجملاً رَحيلاً[4]، وأوقر له الرِّكابَ بُرّاً وتمراً وثياباً .

فجعل النابغة يَستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفاً ؛ فقال ابن الزبير : وَيْحَ أبي ليلى ! لقد بلغ به الجهد .

قال النابغة : أشهد أني سمعتُ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: ما وُلِّيَت قريش فعدلت، واستُرحمت فرحمت، وحَدَّثت فصَدقت، ووعدَت خيراً فأنجزت، فأنا والنبيّون فُرّاط القاصفين[5] .

قال الزبير بن بكّار: الفارِط: الذي يتقدّم الى الماء يُصلِح الرِّشاء والدِّلاء . والقاصِف : الذي يتقدّم لشراء الطعام .

---

١ عفوة المال : خياره وما صفا منه وكثر .
٢ بنو أسد : قبيلة منها الزبير بن العوام، والد عبد الله هذا . تيم : قبيلة منها ابو بكر الصديق، جد ابن الزبير لأمه .
٣ القلائص، واحدتها قلوص : الشابة من الابل .
٤ الرحيل من الابل : القوي على السير .
٥ انا والنبيون فراط القاصفين : هم الذين يزدحمون حتى يقصف بعضهم بعضاً، من القصف الكسر والدفع الشديد لفرط الزحام . يريد انهم يتقدمون الامم الى الجنة وهم على اثرهم بداراً متدافعين ومزدحمين (النهاية) .

وفود اهل الكوفة

على ابن الزبير رحمه الله تعالى

قال :

لما قتل مُصعبُ بن الزُّبير المختارَ بن أبي عُبيد خرج حاجّاً، فقدم على أخيه عبد الله بن الزُّبير بمكـة ، ومعه وُجوه أهـل العراق ، فقال له: يا أمير المؤمنين، جئتك بوجوه أهل العراق، لم أدع لهم بها نظيراً ، لتُعْطيَهم من هذا المال .

قال : جِئتَني بعَبيد أهل العراق لأعطيهم مالَ الله ! والله لا فعلتُ .

فلما دخلوا عليه وأخذوا مجالسَهم، قال لهم: يا أهل الكوفة، ودِدْت والله أنّ لي بكم من أهل الشّام صَرْفَ الدّينار والدّرهم، بل لكل عشرة رجلاً .

قال عُبيد الله بن ظَبْيان: أتدْري يا أمير المؤمنين ما مَثلنا ومَثلك فيما ذكرتَ ؟

قال : وما ذلك ؟

قال : فإن مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام ، كما قال أعشى

بكر بن وائل :

عُلِّقتُها عَرَضاً ، وعُلِّقتْ رجلاً
غيْري ، وعُلِّق أُخرى غيرَها الرجلُ

أحببناك نحن ، وأحببتَ أنت أهلَ الشام ، وأحبَّ أهلُ الشام عبدَ الملك .

ثم انصرف القوم من عنده خائبين ، فكاتبوا عبدَ الملك بن مروان وغدروا بمُصْعب بن الزبير .

•

وفود رؤبة على أبي مسلم

الأصمعيّ قال : حدّثنا رؤبة قال :

قدمتُ على أبي مُسلم صاحبِ الدعوة ، فأنشدته ، فناداني: يا رؤبة ! فنوديت له من كل مكان : يا رؤبة ! فأجبتُ :

لبّيك، إذ دعوتَني، لبّيْكا، أحمدُ ربّاً ساقَني إليكا
الحمدُ والنّعمة في يدَيْكا

قال : بل في يدي الله ، عزّ وجلّ .

قلت: وأنت لمّا أنعمتَ حُمِدت. ثم استأذنتُ في الانشاد، فأذن لي فأنشدته :

ما زال يأتي المُلكَ من أقطارِه،
وعن يمينه ، وعن يَسارِه
مُشمّراً لا يُصطَلى بناره،
حتى أقرّ المُلكَ في قراره

فقال : إنك أتيتَنا وقد شفّ المالُ واستَنفضه الانفاق ، وقد أمرنا لك بجائزة ، وهي تافهة يسيرة ، ومنك العَود وعلينا

المُعوَّل، والدهرُ أطرقُ مستتبٌّ[1]، فلا تجْعل بجنْبيك الأسدّة[2].

قال : فقلت : الذي أفادني الأميرُ من كلامه أحبُّ إليَّ من الذي أفادني من ماله .

---

١ يريد حينا يذل لنا الدهر وينزل على حكمنا .

٢ الأسدة ، واحدها سد : الحاجز بين شيئين ، والمراد لا يضق صدرك .

وفود العتابي على المأمون

الشَّيباني قال :

كان كُلثوم العتّابي إيامَ هارون الرشيد في ناحية المأمون، فلما خرج الى خُراسانَ شيّعه الى قُومِس[1] حتى وقف على سِنْداد[2] كِسْرى ، فلما حاول وَداعه ، قال له المأمون : لا تَدع زيارتنا إن كان لنا من هذا الأمر شيء .

فلمّا أفضت الخلافةُ الى المأمون ، وفَد اليه العتّابي زائراً، فحُجب عنه ، فتعرض ليحيى بن أكثم، فقال : أيها القاضي، إن رأيت أن تُذكّر بي أمير المؤمنين .

فقال له يحيى : ما أنا بالحاجب .

قال له: قد علمتُ، ولكنّك ذو فضل وذو الفضل مِعْوان.

فدخل على المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أجِرْني من العتّابي ولسانه .

فلم يأذن له وشُغِل عنه .

---

١ قومس : كورة كبيرة في ذيل جبل طبرستان بين الري ونيسابور .
٢ سنداد : نهر فيا بين الحيرة الى الابلة ، وكان عليه قصر تحج العرب اليه .

فلما رأى العتّابي جَفاءه قد تمادى ، كتب اليه :

ما على ذا كنّا افترقنا بِسَنْدا ... دَ ، ولا هكذا رَأَيْنا الإخاءَ
لم أكن أحْسَبُ الخلافةَ ، يَزْدا ... دُ بها ذو الصَّفاء إلاّ صَفاء
تَضْرِب الناس بالمُثقّفة السُّمْ ... رِ على غَدْرِهم، وتَنْسى الوَفاء

فلما قرأ أبياته دعا به ؛ فلما دنا منه سلّم بالخلافة ووقف بين يديه ؛ فقال : يا عتّابي ، بَلَغَتْنا وفاتُك فغمّتنا، ثم انتهت الينا وفادتُك فسرّتنا .

فقال : يا أمير المؤمنين ، لو قُسّم هذا البرّ على أهل مِنىً وعَرفات لوَسِعَهم ، فإنّه لا دِين إلا بك ، ولا دُنيا إلا معك.

قال : سَلْ حاجتك .

قال : يَدُك بالعطيّة أطلقُ من لساني بالمسألة .

فأحْسنَ جائزته وانصرف .

•

وفود أبي عثمان المازني على الواثق

أبو عثمان بكر بن محمد قال :

وفدتُ على الواثق، فلمّا دخلتُ وسلّمت قال: هل خلّفت وراءك أحداً يُهمّك أمره ؟

قلت : أخيّة لي ربّيتها فكأنها بنتي .

قال : ليت شعري ! ما قالت حين فارقتها ؟

قلتُ : أنشدتني قولَ الأعشى :

تَقُولُ ابنتي، يومَ جدّ الرحيلُ، أرانا سَواءً ، ومَن قد يَتِمْ
أبانا ، فلا رِمْتَ مِن عندنا ، فإنّا نَخاف بأن تُخْتَرَم[1]
أرانا ، إذا أضْمرتكَ البِلا د، نُجْفَى، وتُقطع مِنّا الرّحِم

قال : ليت شعري ! ما قلتَ لها ؟

قال : أنشدتها أمير المؤمنين قولَ جرير :

ثِقي بالله ، ليسَ له شريكٌ ، ومِن عند الخليفة بالنجاحِ

---

[1] رمت : فارقت . تخترم : تهلك .

قال : أتاك النّجاح ؛ وأمر له بعشرة آلاف درهم. ثم قال: حدّثني حديثاً ترويه عن أبي مَهْدِيَة مُستَطرَفاً .

قلت : يا أمير المؤمنين ، حَدَّثني الأصمعي قال : قال لي أبو مَهْدية : بلغني أن الأعراب والأعزاب سواء في الهجاء ؛ قلت : نعم؛ قال : فاقرأ : « الأعْزابُ أشدّ كُفْراً ونِفاقاً » ولا تقرأ الأعراب ، ولا يغرنّك العَزَب وإنْ صام وصلى .

فضحك الواثق حتى شَغَر برجله[1]، وقال: لقد لقي أبو مَهدية من العُزْبة شراً ؛ وأمر له بخمسمائة دينار .

•

[1] شغر برجله : رفعها وضرب بها الأرض .

وفود سودة بنت عمارة على معاوية

عامر الشعبي قال :

وفدت سَودة بنت عُمارة بن الأشتر الهَمْدانية على معاوية بن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه ، فأذِن لها ؛ فلما دخلت عليه سلّمت ؛ فقال لها : كيف أنت يابنةَ الأشتر ؟

قالت : بخَير يا أمير المؤمنين .

قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شَمّر ، كفِعْل أبيك يابنَ عُمارةٍ ،
يومَ الطّعان ، وملْتقى الأقرانِ

وانصُر علياً والحُسين ورَهْطَه ،
واقصِد لهِنْدٍ وابنها بهَوان

إنّ الإمام أخو النبيّ محمدٍ ،
عَلَمِ الهُدى ومَنارةِ الإيمان

فَقُدِ الجيوشَ ، وسِرْ أمام لوائه ،
قُدُماً ، بأبيضَ صارمٍ وسِنان

قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأسُ وبُتِر الذنَب، فدَع عنك تَذكار ما قد نُسي .

قال : هيهات ؛ ليس مثل مقام أخيكِ يُنسى .

قالت : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان أخي خَفِيَّ المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وإن صخراً لتأتمُّ الهُداة به ، كأنه عَلَم في رأسِه نارُ

وبالله أسأل أميرَ المؤمنين إعفائي مما استعفيتُه .

قال : قد فعلتُ ، فقولي حاجتك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، إنّك للناس سيّد ، ولأمورهم مُقلّد ، واللهُ سائلك عما افترض عليك من حقّنا ، ولا تزال تقدّم علينا من يَنهض بعزّك ، ويَبْسط سلطانك ، فيَحصدنا حِصاد السُّنبل ، ويَدوسنا دِياس البَقر ، ويَسومنا الخسيسة ، ويسألنا الجليلة ، هذا ابن أرطاة[1] قدِم بلادي ، وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومَنَعة ، فإمّا عَزلته عنا فشكرناك ، وإمّا لا فعَرفناك .

فقال معاوية : إياي تُهدّدين بقومك ! والله لقد هَممت أن

---

١ هو بسر بن أرطاة .

أرُدُّك اليه على قَتَب أشْرَس[1] ، فيُنفِّذ حُكمه فيك .

فسكتت ثم قالت :

صَلَّى الإله على رُوح تَضَمَّنَه
قَبرٌ ، فأصبح فيه العَدْلُ مَدفونا

قد حالفَ الحقَّ ، لا يَبغي به ثَمناً ،
فصار بالحق والإيمان مَقرونا

قال : ومن ذلك ؟

قالت : عليّ بن أبي طالب ، رحمه الله تعالى .

قال : ما أرى عليك منه أثراً .

قالت : بلى ، أتيتُه يوماً في رَجل ولاه صَدقاتِنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغَثّ والسَّمين ، فوجدته قائماً يُصلّي ، فانفتل من الصلاة ، ثم قال برأفة وتعطُّف : ألكِ حاجة ؟

فأخبرتُه خبرَ الرجل ، فبكى ثم رفع يَديه الى السماء ، فقال : اللهم إني لم آمرهم بظُلم خَلْقك ، ولا تَرْك حقّك .

ثم أخرج من جيبه قطعةً من جِراب ، فكتب فيها : بسم

---

١ القتب: الاكاف الصغير على قدر سنام البعير. أشرس: اي بعير اشرس ، وهو الخشن الغليظ .

الله الرحمن الرحيم. قد جاءتكم بيّنة من ربكم، فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثوا[1] في الأرض مفسدين ، بقيّةُ الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ . إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك ، حتى يأتي من يقبضه منك ، والسلام .

فأخذته منه يا أميرَ المؤمنين ما خزمه بخزام[2] ولا ختمه بختام .

فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها .

فقالت : ألي خاصّة ، أم لقومي عامة ؟

قال : وما أنت وغيرك ؟

قالت : هي والله إذاً الفحشاءُ واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً ، وإلا يسعني ما يسع قومي .

قال: هيهات ، لمّظكم[3] ابنُ أبي طالب الجرأة على السلطان، فبطيئاً ما تفطمون ، وغرّكم قوله :

فلو كنتُ بواباً على باب جنّة ، لقلتُ لهمدان: ادخلوا بسلامِ

---

١ تعثوا : تبالغوا في الفساد .

٢ خزمه بخزام : شده بحلقة .

٣ التلمظ : التذوق ، وتتبع بقية الطعام في الفم باللسان .

وقوله :

نادَيْتُ هَمْدانَ ، والأبوابُ مُغْلَقةٌ ،
ومثلُ هَمْدانَ سَنَّى فتحةَ البابِ[1]

كالهُنْدُوانيِّ لم تُفْلَلْ مَضارِبُـــهُ ،
وَجْهٌ جَميل ، وقلبٌ غيرُ وجّاب

اكتبوا لها بحاجتها .

---

١ سنّى : سهّل .

وفود بكارة الهلالية على معاوية

محمد بن عبد الله الخُزاعيّ عن الشّعبيّ قال :

استأذنتْ بَكّارة الهِلاليّة على معاوية بن أبي سفيان، فأذِن لها ، وهو يومئذ بالمدينة ، فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسَنّت وعَشي بصرُها ، وضَعُفت قُوّتها، ترْعَش بين خادمين لها ، فسلّمت وجلست ، فرد عليها معاوية السلام ، وقال : كيف أنت يا خالة ؟

قالت : بخير يا أمير المؤمنين .

قال : غيّرك الدهر .

قالت : كذلك هو ذو غِيَر ، من عاش كَبِر ، ومن مات قُبِر .

قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

يا زيدُ ، دونك فاستَثِر من دارنا
سَيفاً حُساماً ، في التّراب ، دَفينا[1]

قد كنتُ أذخَره ليوم كَريهةٍ ،
فاليومَ أبرَزَه الزمــان مَصونا

---

[1] استثر : صيره يثور ، والمراد ابنشه واشهره .

قال مروان : وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أترى ابنَ هندٍ للخلافة مالكاً؟
هيهاتَ ، ذاك ، وإن أراد ، بعيدُ

مَنَّتك نفسُك ، في الخلاء ، ضلالةً ،
أغراك عَمْرو ، للشقا ، وسَعيد

قال سعيد بن العاصي : هي والله القائلة :

قد كنتُ أطمع أن أموت ، ولا أرى
فوق المنابر ، من أمية ، خاطبا

فالله أخرّ مُدتي ، فتطاولت ،
حتى رأيتُ من الزمان عجائبا

في كلّ يوم للزمان خَطيبُهم ،
بين الجميع ، لآل أحمد ، عائبا .

ثم سكتوا . فقالت : يا معاوية ، كلامُك أعشى بصري وقصّر حُجّتي ، أنا والله قائلة ما قالوا ، وما خَفي عليك منّي أكثر .

فضحك وقال : ليس يَمنعنا ذلك من برّك ، اذكري حاجتك .

قالت : الآن فلا .

وفود الزرقاء على معاوية

عُبيد الله بن عمرو الغسّاني عن الشّعبي قال: حدّثني جماعة من بني أمية ممن كان يَسْمُرُ مع معاوية قالوا:

بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسَعيد وعُتبة والوليد، إذ ذكروا الزرقاء بنت عَدي بن قيس الهَمْدانية، وكانت شَهِدت مع قومها صِفّين، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟

قال بعضهم: نحن نحفظه يا أمير المؤمنين.

قال: فأشيروا عليّ في أمرها.

فقال بعضُهم: نُشير عليك بقتلها.

قال: بئس الرأي أشرتم به عليّ، أيحسُن بمثلي أن يُتحدّث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظَفِر بها!

فكتب الى عامله بالكوفة أن يُوفدها اليه مع ثِقة من ذوي محارمها، وعدّة من فُرسان قومها، وأن يُمهّد لها وطاء ليّناً، ويَسْترها بستر خصيف[1]، ويوسّع لها في النفقة.

---

[1] الخصيف: الغليظ.

فأرسل اليها فأقرأها الكتاب؛ فقالت: إن كان أمير المؤمنين جَعل الخيار إليّ فإني لا آتيه ، وإن كان حَتّم فالطاعة أولى .

فحَملها وأحسن جهازها على ما أمر به . فلمّا دخلت على معاوية؛ قال : مَرحباً وأهلاً، قدمْتِ خيرَ مَقدم قَدِمه وافد، كيف حالُكِ ؟

قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النّعمة .

قال : كيف كنت في مسيرك ؟

قالت : ربيبةَ بيت أو طِفلًا ممهداً .

قال : بذلك أمرتهم ، أتدرين فيمَ بعثتُ اليك ؟

قالت : أنّى لي بعلم ما لم أعلم ؟

قال: ألستِ الراكبة الجمل الأحمر، والواقفة بين الصّفّين يوم صِفّين تَحضّين على القتال ، وتوقِدين الحرب ، فما حَملك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرّأس وبُتر الذنَب ، ولم يَعُد ما ذهب ، والدّهر ذو غِيَر، ومن تفكّر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر .

قال لها معاوية : أتحفَظين كلامك يوم صِفّين ؟

قالت : لا والله لا أحفظه ولقد أُنسيته .

قال : لكني أحفظه ، لله أبوك حين تقولين : أيها الناس ، ارعَوُوا وارجعوا، إنكم قد أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظُلَم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيا لها فتنة عمياء ، صماء بكماء ، لا تَسمع لناعقها ، ولا تنساق لقائدها . إن المصباح لا يُضيء في الشمس ، ولا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يَقطع الحديدَ الا الحديد . ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه .

أيها الناس ، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يا معشر المُهاجرين والأنصار على الغُصص ، فكأن قد اندمل شَعب الشتات ، والتأمت كلمة العدل ، ودمغ الحقُّ باطله ، فلا يجهلن أحد ، فيقول : كيف العدل وأنّى ، لِيَقضِ الله أمراً كان مفعولاً . ألا وإن خِضاب النساء الحِنّاء ، وخِضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده .

والصبر خير في الأمور عواقبا

إيهاً ، في الحرب قُدُماً غيرَ ناكصين ولا مُتشاكسين .

ثم قال لها : والله يا زرْقاء ، لقد شَرَكت علياً في كل دم سَفكه .

قالت : أحسنَ الله بشارتك ، وأدام سلامتَك ، فمِثلُك بَشَّر بخير وسَرَّ جليسه .

قال : أو يَسُرّكِ ذلك ؟

قالت: نعم والله، لقد سُررت بالخبر فأنّى لي بتصديق الفعل.

فضحك معاوية وقال: والله لوَفاؤكم له بعد موته أعجبُ من حُبّكم له في حياته ، اذكري حاجتك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، آليتُ على نفسي أن لا أسألَ أميراً أعنتُ عليه أبداً ، ومِثلُك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طِلْبة .

قال: صدقتِ، وأمر لها وللذين جاؤوا معها بجوائز وكُسى.

•

وفود أم سنان بنت خيثمة

على معاوية رحمه الله

سعيد بن أبي حُذافة قال :

حبَس مروان بن الحكَم وهو والي المدينة غُلاماً من بني ليث في جِناية جَناها ، فأتته جدّة الغلام ، وهي أم سِنان بنت خيثمة بن خرَشة المَذحجيّة ، فكلّمته في الغلام ، فأغلظ مروان ، فخرجت الى معاوية ، فدخلت عليه فانتسبت ، فعرفها ؛ فقال لها : مَرحباً يابنة خيثمة ، ما أقدمك أرضَنا ؟ وقد عهِدْتُك تَشْتُمينا وتحضّين علينا عدوّنا .

قالت : إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأحلاماً وافرة ؛ لا يجهلون بعد عِلم ، ولا يَسفهون بعد حِلم ، ولا ينْتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ما سَنّ آباؤه لأنت .

قال : صدقتِ ، نحن كذلك ، فكيف قولك :

عَزَب الرُّقاد ، فمقلتي لا ترْقدُ ،
والليلُ يُصْدِر بالهموم ، ويُورِدُ

يا آلَ مَذْحِجَ، لا مُقام، فَشمِّروا،
إنَّ العدوَّ، لآل أحمدَ، يَقْصِد

هـذا عليٌّ، كالهِلال، تَحُفُّهُ،
وسطَ السماء من الكواكب، أسْعُد.

خيرُ الخلائق، وابنُ عمِّ محمد،
إن يَهْدِكم بالنُّور منه تَهْتَدوا

ما زال مُذ شَهِدَ الحروب مُظَفَّراً،
والنصرُ فوق لِوائه ما يُفْقَد

قالت: كان ذلك يا أميرَ المؤمنين، وأرجو أن تكون لنا خَلَفاً بعده.

فقال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين، وهي القائلة:

إمّا هلكتَ أبا الحُسَين، فلم تزَل
بالحقّ تُعرَف هادياً مَهْدِيّا

فاذهبْ عليك صلاةُ ربِّك ما دعتْ،
فوق الغُصون، حَمامةٌ قمريّا

قد كنتَ، بعد محمد، خَلَفاً، كما
أوصى اليك بنا، فكُنْتَ وفِيّا

فاليومَ لا خَلَفٌ يُؤَمَّل بعده؛
هيهات نأمُل بعده إنسيّا

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسان نَطق ، وقول صَدق ، ولئن تحقّق فيك ما ظننّا فحظُّك الأوفر ؛ والله ِ ما ورّثك الشنآنَ في قلوب المسلمين إلا هؤلاء ، فأدْحِض مقالتهم ، وأبعِد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلكَ تزْدَد من الله قُرباً ، ومن المؤمنين حبّاً .

قال : وإنك لتقولين ذلك ؟

قالت : سبحان الله ! والله ما مِثلك مُدح بباطل ، ولا اعتُذر اليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قلوبنا ؛ كان والله عليّ أحبّ الينا منك ، وأنت أحبُّ الينا من غيرك .

قال : ممن ؟

قالت : من مروان بن الحكم وسعيد بن العاصي .

قال : وبمَ استحققتُ ذلك عندكِ ؟

قالت : بسَعة حِلمك وكريم عفوك .

قال : فإنهما يَطمعان في ذلك .

قالت : هما والله من الرأي على ما كنتَ عليه لعثمان بن

عفان ، رحمه الله[1] .

قال : والله لقد قاربتِ ، فما حاجتكِ ؟

قالت: يا أمير المؤمنين، إنّ مروان تبنّك[2] بالمدينة تبنُّكَ من لا يُريد منها البَراح ، لا يحكم بعَدل ، ولا يَقضي بسُنّة ، يَتتبّع عثراتِ المسلمين، ويَكشف عَورات المُؤمنين، حَبسَ ابن ابني فأتيته ، فقال كَيْتَ وكَيْتَ ، فألقمتُه أخشن من الحجر ، وألعقته أمرَّ من الصّاب، ثم رجعتُ الى نفسي باللائمة، وقلت: لِمَ لا أصرف ذلك الى مَن هو أولى بالعفو منه؟ فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظراً ، وعليه مُعْدياً[3] .

قال : صدقتِ ، لا أسألك عن ذنبه ، ولا عن القيام بحُجّته ، اكتبوا لها بإطلاقه .

قالت: يا أمير المؤمنين ، وأنّى لي بالرّجعة ، وقد نفِد زادي وكلّت راحلتي ؟

فأمر لها براحلة مُوطّأة وخمسة آلاف درهم .

---

١ تشير الى طمعهما بالخلافة بعد معاوية .
٢ تبنك : أقام .
٣ معدياً : معيناً وناصراً .

وفود عكرشة بنت الاطرش

على معاوية رحمه الله تعالى

أبو بكر الهُذليّ عن عِكرمة قال :

دخلت عِكرشة بنت الأطرش بن رَواحة على معاوية متوكّئة على عُكّاز لها ، فسلّمت عليه بالخلافة ، ثم جلست ؛ فقال لها معاوية: الآن يا عِكرشةُ صِرْتُ عندك أمير المؤمنين؟

قالت : نعم ، إذ لا عليّ حيّ .

قال : ألستِ المتقلّدة حمائلَ السّيف بصِفّين ، وأنت واقفة بين الصّفّين تقولين: أيها الناس، عليكم أنفسكم لا يَضُرُّكم من ضَلّ إذا اهتديتم ، إن الجنّة لا يَرحل عنها من قطنها ، ولا يَهْرَم من سَكنها ، ولا يموت من دَخلها ، فابتاعوها بدار لا يَدوم نعيمها ، ولا تَنصرم هُمومها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مُستظهرين بالصبر على طلب حقّهم .

إن معاوية دلف[1] اليكم بعُجم العرب غُلف القلوب ، لا

---

[1] دلف : مشى .

يَفقهون الايمان ولا يَدرون ما الحِكمة، دعاهم بالدُّنيا فأجابوه، واستدعاهم الى الباطل فلبُّوه ، فاللهَ اللهَ عبادَ الله في دين الله، وإيّاكم والتواكلَ ، فإن ذلك يَنقُض عُرى الاسلام، ويُطفىء نورَ الحق .

هذه بَدْر الصُّغرى ، والعقَبة الأخرى؛ يا معشرَ المهاجرين والأنصار ، امضُوا على بَصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأني بكم غداً، وقد لقيتم أهلَ الشام، كالحُمُر الناهقة تَصْقَع[1] صقع البقر وترُوث روث العِتاق[2] .

فكأني أراكِ على عَصاكِ هذه وقد انكفأ عليك العسكران، يقولون : هذه عِكرشة بنت الأطرش بن رواحة ، فإن كِدت لتقتلين أهل الشام لولا قدَر الله ، وكان أمر الله قدَراً مقدوراً، فما حمَلك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى : «يا أيُّها الذينَ آمنُوا لا تَسألُوا عَن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكُم تَسُؤكُم . » وإن اللّبيب إذا كره أمراً لا يُحب إعادتَه .

قال : صدقت ، فاذكري حاجَتَك .

---

١ تصقع : تضرط .
٢ العتاق: الجمال .

قالت : إنه كانت صَدقاتُنا تُؤخذ من أغنيائنا فتُرَدُّ على فُقرائنا ، وإنّا قد فقَدنا ذلك ، فما يُجبر لنــا كَسير ، ولا يُنعش لنا فقير، فإن كان ذلك عن رَأيك، فمِثْلك من انتبه عن الغفلة ، وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك ، فما مِثلك من استعان بالخوَنة ، ولا استَعمل الظَّلَمة .

قال معاوية : يا هذه ، إنه يَنوبنا من أمورِ رعيّتنا أمورٌ تَنبثق ، وبحور تَنفهق[1] .

قالت : يا سُبحان الله ! واللهِ ما فرضَ الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا وهو علاّم الغيوب .

قال معاوية: هيهات يا أهل العراق، نبّهكم علي بن أبي طالب فلن تُطاقوا .

ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافها .

---

١ تنفهق : تنصب .

قصة دارمية الحجونية

مع معاوية رحمه الله تعالى

سهل بن أبي سهل التميميّ عن أبيه قال :

حجّ معاوية ، فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تَنزل بالحَجُون[1]، يقال لها دارِميّة الحجُونيّة، وكانت سوداء كثيرةَ اللحم، فأخبِر بسلامتها، فبَعث اليها فجيء بها، فقال: ما حالك يابنة حام ؟

فقالت : لستُ لحام إن عِبْتني ، أنا امرأة من بني كنانة .

قال : صدقت ، أتدرين لِمَ بعثتُ اليك ؟

قالت : لا يعلم الغيبَ الا الله .

قال : بعثت اليك لأسألك علامَ أحببتِ عليّاً وأبغضتِني ، وواليته وعاديتِني ؟

قالت : أو َتُعفيني يا أمير المؤمنين ؟

قال : لا أُعفيك .

---

١ الحجون : جبل بمعلاة مكة .

قالت : أمّا إذا أبَيتَ ، فإني أحببتُ علياً على عَدله في الرّعيّة ، وقَسْمه بالسويّة ، وأبغضتُك على قِتالك من هو أولى منك بالأمر ، وطَلِبتك ما ليس لك بحقّ ؛ وواليتُ علياً على ما عقد له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الوِلاء ، وحُبّه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين؛ وعاديتُك على سَفكك الدّماء ، وجورك في القضاء ، وحُكْمِك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بَطنُكِ ، وعَظُم ثَدْياك ، ورَبَتْ عَجيزتك .

قالت: يا هذا، بهند[1] والله كان يُضرب المثل في ذلك لا بي.

قال معاوية : يا هذه ، اربَعي[2] فإنا لم نقل إلا خيراً ، إنه إذا انتفخ بَطن المرأة تمّ خَلق ولدها، وإذا عَظُم ثَدْياها تروّى[3] رضيعُها ، وإذا عَظُمت عَجيزتها رَزُن مجلسها .

فرجعت وسكنت . قال لها : يا هذه ، هل رأيتِ علياً ؟

قالت : إي والله .

قال : فكيف رأيتِه ؟

---

١ هي هند بنت عتبة ، ام معاوية .
٢ اربعي : قفي وانتظري .
٣ تروى : ارتوى .

قالت : رأيتُه والله لم يَفْتنه المُلكُ الذي فتنك ، ولم تَشْغَلْه النّعمة التي شَغَلتك .

قال : فهل سمعتِ كلامه ؟

قالت : نعم والله ، فكان يجلو القلبَ من العمى ، كما يجلو الزيتُ صدأ الطَّسْت .

قال : صدقتِ ، فهل لكِ من حاجة ؟

قالت : أو تفعل إذا سألتُكَ ؟

قال : نعم .

قالت : تُعطيني مائة ناقة حمراء فيها فَحْلُها وراعيها .

قال : تَصنعين بها ماذا ؟

قالت : أغْذو بألبانها الصّغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأكتسِب بها المكارم ، وأصْلح بها بين العشائر .

قال : فإن أعطيتك ذلك، فهل أحُلّ عندك محل علي بن أبي طالب؟

قالت : ماء ولا كصَدّاء ، ومرعى ولا كالسّعدان ، وفتى ولا كمالك[1] ، يا سبحان الله ، أو دونه[2] ؟

---

١ صداء : عين لم يكن عندهم ماء اعذب من مائها . السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من افضل مراعي الابل ، ولا تحن على نبت حسنها عليه . مالك : هو ابن نويرة . وقد قال اخوه متمم هذا فيه لما قتل في الردة . وهذه امثلة ثلاثة تضرب للشيء يفضل على اشباهه .

٢ اي احر بك ان تطلب دون محله .

فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعُـدْ بالحِلْمِ منّي عليكمُ،
فمن ذا الذي بَعْدي يُؤَمَّلُ للحِلْمِ ؟

خُذيها هَنيئاً ، واذكري فعلَ ماجِدٍ،
جَزاكِ ، على حَرْبِ العداوة ، بالسِّلْمِ

ثم قال : أما والله لو كان عليّ حيّاً ما أعطاكِ منها شيئاً .

قالت : لا والله ، ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

•

وفود ام الخير بنت الحريش

على معاوية

عُبيد الله بن عُمر الغسّاني عن الشعبي قال :

كتب مُعاوية الى واليه بالكوفة أن يحمل اليه أمّ الخير بنت الحُريش بن سُراقة البارقي برَحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيراً وبالشرّ شراً .

فلما ورد عليه كتابه رَكِبَ اليها فأقرأها كتابه ؛ فقالت: أمّا أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا مُعتَلّة بكذب ، ولقد كنتُ أحب لقاء أميرِ المؤمنين لأمور تَختلج في صدري .

فلما شيّعها وأراد مُفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إليّ أنه مجازيني بالخير خيراً وبالشرّ شراً ، فما لي عندك ؟

قالت : يا هذا ، لا يُطمِعنّك برُّك بي أن أسُرّك بباطل ، ولا تؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غيرَ الحق .

فسارت خيرَ مَسير حتى قدِمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرَم ، ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ؛

فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

فقال لها : وعليك السلامُ يا أمَّ الخير ، بحقٍّ ما دعوتني بهذا الاسم ؟

قالت : يا أمير المؤمنين، مَه ، فإن بديهة السلطان مَدْحضة لما يُحِب عِلمه ، ولكلٍّ أجل كتاب .

قال : صدقتِ ، فكيف حالُـك يا خالة ؟ وكيف كُنْتِ في مَسيرك ؟

قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خَير وعافية حتى صرتُ اليك ، فأنا في مجلس أنيق ، عند مَلِك رَفيق .

قال معاوية : بِحُسن نيتي ظفِرت بكم .

قالت : يا أمير المؤمنين ، يُعيذك الله من دَحْض المقال وما تُرْدي عاقبتُه .

قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عَمّار بن ياسر ؟

قالت : لم أكن زوّرته[1] قبل ، ولا رَوّيته بعد ، وإنما كانت كلماتٌ نفثها لساني عند الصّدمة ، فإن أحببتَ أن أُحدث لك مقالاً غيرَ ذلك فعلت .

---

[1] زوّرته : حسّنته .

قال : لا أشاء ذلك .

فالتفت معاوية الى جلسائه ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟

فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين .

قال : هات .

قال: كأني بها وعليها بُرد زَبيديّ كثيف النسيج، وهي على جمل أرمك[1] ، وقد أحيط حولها ، وبيدها سوط مُنتشر الضفيرة ، وهي كالفحل يَهدر في شِقشِقته[2] ، تقول :

يا أيها الناس، اتقوا ربكم، إنّ زلزلة الساعة شيءٌ عظيم ، إن الله قد أوضح لكم الحق ، وأبان الدّليل ، وبيّن السبيل، ورفع العَلَم، ولم يَدعكم في عَمياء مُبهمة ، ولا سوداء مُدلهمّة ، فأين تريدون رحمكم الله ، أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزّحف ، أم رَغبة عن الاسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سَمعتم الله ، جل ثناؤه ، يقول : « ولَنَبلونّكم حتى نَعلَمَ المُجاهِدينَ مِنكم والصّابرينَ ونَبلُوَ أخبارَكم . »

ثم رفعت رأسها الى السماء ، وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر ، وضَعُف اليَقين ، وانتشرت الرّغبة ، وبيدك يا رب

---

١ ارمك : رمادي اللون .

٢ الشقشقة : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج .

أزمّة القلوب ، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى ، وألّف القلوبَ على الهدى ، واردُد الحقّ الى أهْلِه ، هَلمُّوا رَحمكم الله الى الإمام العادل ، والرّضيّ التقي ، والصّديق الأكبر ، إنها إحَنٌ بَدْرية[1]، وأحقادٌ جاهليّة ، وضغائنُ أُحُدية[2] ، وثب بها واثبٌ حينَ الغفلة ، ليُدرك ثارات بني عبد شمس .

ثم قالت : قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلّهم يَنتهون .

صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربّكم ، وثبات من دينكم ، فكأني بكم غداً ، وقد لقيتم أهلَ الشام ، كحُمُرٍ مُستنفِرة ، فرّت من قَسْورة[3]، لا تدري أين يُسلَك بها من فِجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعما قليل ليُصبِحُنّ نادمين ، حينَ تَحلّ بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ولاتَ حينَ مَناص ، إنه من ضلّ والله عن الحق وقع في الباطل .

ألا إنّ أولياء الله استصغروا عُمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسعَوا لها ، فاللهَ اللهَ أيها الناس ، قبلَ أن تَبْطل الحقوق ، وتُعطّل الحدود ، ويظهَر الظالمون ، وتَقوى

---

١ احن ، واحدتها احنة : الحقد . بدرية : نسبة الى غزوة بدر .
٢ احدية : نسبة الى يوم احد .
٣ القسورة : الاسد .

كلمة الشيطان، فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ عن ابن عمّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصِهْره وأبي سِبْطَيْه[1]؟ خُلِق من طينته، وتفرّع من نبعته، وخصّه بسرّه، وجعله بابَ مدينته، وأبان ببُغضه المنافقين، وها هو ذا مُفلّق الهام، ومُكسّر الأصنام.

صلى والناس مُشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يَزل في ذلك حتى قتل مُبارزي بدر، وأفنى أهل أُحُد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرّق به جَمْع هوازن، فيا لها من وقائع زرعت في قلوب نفاقاً، وردّةً وشقاقاً، وزادت المؤمنين إيماناً.

قد اجتهدتُ في القول، وبالغتُ في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير، ما أردتِ بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلتُكِ ما حرجتُ في ذلك.

قالت: والله ما يسوءني أن يجري قتلي على يدَي من يُسعدني الله بشقائه.

قال: هيهات يا كثيرة الفضول، ما تقولين في عثمان بن عفان، رحمه الله؟

---

[1] السبط: ابن البنت.

قالت : وما عَسيت أن أقول في عثمان ، استخلفه الناسُ وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون .

قال معاوية : يا أم الخير ، هذا أصلك الذي تبنين عليه ؟

قالت : لكن الله يَشهد وكفى بالله شهيداً ، ما أردتُ بعثمان نقصاً ، ولكن كان سابقاً الى الخير ، وإنه لَرفيع الدرجة غداً .

قال : فما تقولين في طلحة بن عُبيد الله ؟

قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ، اغتيل من مأمنه ، وأُتي من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الجنة .

قال : فما تقولين في الزُّبير ؟

قالت : وما أقول في ابن عَمّة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحواريّه ، وقد شهد له رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالجنّة ، ولقد كان سبّاقاً الى كل مَكرُمة في الاسلام، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية—فإن قريشاً تَحدَّثت أنك أحلَمُها— أن تسعني بفضل حلمك ، وأن تُعفيني من هذه المسائل، وتسألني عما شئت من غيرها .

قال : نعم ونِعْمة عين ، قد أعفيتُك منها؛ ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردَّها مُكرَّمة .

وفود أروى بنت عبد المطلب

على معاوية رحمه الله

العبّاس بن بكار قال : حدثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهُذلي :

أن أروَى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية، وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال : مَرحباً بك وأهلاً يا عمة ، فكيف كنت بعدنا ؟

فقالت : يابن أخي ، لقد كَفَرتَ يدَ النعمة، وأسأتَ لابن عمك الصحبة ، وتسَمَّيت بغير اسمك ، وأخذت غير حقّك ، من غير بَلاء كان منك ، ولا من آبائك، ولا سابقة في الاسلام، بعد أن كفرتم برسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأتعَسَ الله منكم الجُدود، وأضرَعَ[1] منكم الخدود، وردّ الحق الى أهله، ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبيّنا ، صلى الله عليه وسلم ، هو المنصور ، فولّيتم علينا من بعده ، تحتجون بقرابتكم من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ونحن أقربُ

---

١ اضرع : اذل .

اليه منكم، وأولى بهذا الأمر، فكنّا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون، وكان علي بن أبي طالب، رحمه الله، بعد نبيّنا، صلى الله عليه وسلم، بمنزلة هارون من موسى، فغايتنا الجنّة وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالّة، وأقصري من قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك!

فقالت له: وأنت يابن النابغة، تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تغنّي بمكة وآخذهن لأجرة؛ فقال مروان: كفى أيتها العجوز، واقصدي لما جئت له.

فقالت: وأنت أيضاً يابن الزرقاء تتكلم! ثم التفتت الى معاوية، فقالت: والله ما جرّأ عليّ هؤلاء غيرك، فإن أمّك القائلة في قتل حمزة:

نحن جزيناكم بيوم بدر،
والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعْرِ[1]

ما كان لي عن عُتبةٍ من صبر،
وشكرُ وحشيٍّ عليَّ دهري[2]

حتى ترِمَّ أعظُمي في قبْري[3]

---

١ السعر: الحر الشديد.
٢ وحشي: هو قاتل حمزة عم النبي.
٣ ترم: تبلى.

فأجابتها بنت عمّي[1] ، وهي تقول :

خُزيتِ في بَدْرٍ وبعد بَدْرِ ، يابنةَ جبّار عظيمِ الكُفْرِ

فقال معاوية : عفا الله عمّا سَلف، يا عَمّة، هات حاجتك .

قالت : ما لي اليك حاجة ؛ وخرجت عنه .

•

١ ابنة عمها : هي هند بنت اثاثة بن عبد المطلب .

وفود العرب

كتاب الجمانة في الوفود	٥
وفود العرب على كسرى	٧
وفود حاجب بن زرارة على كسرى	٣٠
وفود ابي سفيان الى كسرى	٣٣
وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر	٣٤
وفود قريش على سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشة	٣٦
وفود عبد المسيح على سطيح	٤٤
وفود همدان على النبي صلى الله عليه وسلم	٤٨
وفود النخعي على النبي صلى الله عليه وسلم	٥٠
وفود كلب على النبي صلى الله عليه وسلم	٥٢
وفود ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم	٥٤
وفود مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم	٥٥
وفود لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم	٥٨
وفود قيلة على النبي صلى الله عليه وسلم	٦٤
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة	٧١
كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر الحضرمي	٧٢
حديث جرير بن عبد الله البجلي	٧٣
حديث عياش بن أبي ربيعة	٧٤
حديث راشد بن عبد ربه السلمي	٧٥
وفود نابغة بني جعدة على النبي صلى الله عليه وسلم	٧٧

وفود طهفة بن ابي زهير النهدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧٩
وفود جبلة بن الايهم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ٨٣
وفود الاحنف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ٩٤
وفود الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٩٧
وفود عمرو بن معديكرب على عمر بن الخطاب اذ أوفده سعد ٩٩
وفود اهل اليمامة على ابي بكر الصديق رضي الله عنه . ١٠١
وفود عمرو بن معديكرب على مجاشع بن مسعود . ١٠٢
وفود الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية . ١٠٤
وفود زيد بن منية على معاوية . . . ١٠٥
وفود عبد العزيز بن زرارة على معاوية . . ١٠٧
وفود عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية . . ١٠٩
وفود عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان . ١١١
وفود الشعبي على عبد الملك بن مروان . . ١٢٠
وفود الحجاج بابراهيم بن محمد بن طلحة على عبد الملك بن مروان ١٢٣
وفود رسول المهلب على الحجاج بقتل الازارقة . . ١٢٧
وفود جرير على عبد الملك بن مروان . . ١٢٩
وفود جرير عن اهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ١٣١
وفود دكين الراجز على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ١٣٢
وفود كثير والاحوص على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ١٣٦
وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . ١٤٤
وفود نابغة بني جعدة على ابن الزبير . . . ١٥٢
وفود اهل الكوفة على ابن الزبير . . . ١٥٤
وفود رؤبة على ابي مسلم ١٥٦
وفود العتابي على المأمون ١٥٨

وفود ابي عثمان المازني على الواثق . . . ١٦٠
وفود سودة بنت عمارة على معاوية . . . ١٦٢
وفود بكارة الهلالية على معاوية . . . ١٦٧
وفود الزرقاء على معاوية . . . ١٦٩
وفود ام سنان بنت خيثمة على معاوية . . . ١٧٣
وفود عكرشة بنت الاطرش على معاوية . . ١٧٧
قصة دارمية الحجونية مع معاوية . . . ١٨٠
وفود ام الخير بنت الحريش على معاوية . . ١٨٤
وفود اروى بنت عبد المطلب على معاوية . . ١٩٠

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ أبناء النور ١
٧ أبناء النور ٢
٨ ابناء النور ٣
٩ أمثال العرب
١٠ سحر البيان
١١ دموع الأحزان
١٢ أنساب العرب
١٣ من خيام الأعراب
١٤ فيض الخواطر
١٥ أدب المنابر
١٦ الكتابة والكتّاب

١٧ أخبار الخلفاء ١
١٨ أخبار الخلفاء ٢
١٩ أخبار الخلفاء ٣
٢٠ أمراء المسلمين
٢١ أيام العرب ١
٢٢ أيام العرب ٢
٢٣ طرائف الشعراء ١
٢٤ طرائف الشعراء ٢

٢٠٠ غ.ل.